

العدد الثاني عشر

من

السنة السادسة

المجلة الجبيلة

صاحبها ومحررها

سلامة موسى

المجلد السابع

ديسمبر ١٩٣٧

سَيْرُ الجَوَادِثِ



ARCHIVE

<http://archivebeta.sakhn.com>

يرى القراء مع هذا العدد ملحقين أحدهما هو خطبة رئيس الوزارة في يوم عيد الجهاد الوطني .
وهي تبين الإصلاحات التي قامت بها الوزارة منذ أن وليت الحكم . والملحق الثاني هو الخطبة التي
القاهها وزير المالية عن الاستثناءات في تعيين الموظفين وهي التي حدثت في عهد الوزارة القائمة والوزارات
الماضية .

والخطبتان وثيقتان خطيرتان من المفيد لقراء هذه المجلة أن يحتفظوا بهما . وقد رأيت الانطبعا
في صلب المجلة حتى لا يخرج بها عن شكلها ومنهجها . فإن خطبتنا الاتوغل في السياسة وإنما نلم بها
المسما موجزا لكل شهر

وقد حدثت للأسف بعض القلاقل من بعض الغابة في أشهر الماضي دلت على أنهم يجهلون
التاريخ الحديث لمصر والجهاد العظيم الذي جاهدته الأمة لتحقيق الدستور . وأصبح أعداء الدستور
زعما في نظر بعض هؤلاء الطلبة . وهاتان الخطبتان اللتان اشرنا اليهما يجدر بكل طالب أن يقرأهما
ويدرسهما حتى يميز بين الصديق والعدو للوطن

نشاط المعارضين

وقد نشط المعارضون للوزارة في الشهر الماضي نشاطا لا يغبطون عليه . فأنهم مع ما يعملون من الكثرة التي تؤيد الوزارة في البرلمان تقدموا بمرضىة الى صاحب الجلالة الملك يطالبون استقالة الوزارة اواقالتها . كما انهم حرصوا الطلبة على المشاغبات التي تذرعوها بها للحملة على الوزارة لانها لم تكن الامن . وقد ادى هذا التحريض الى الاعتداء على الرئيس الجليل . ودل هذا السلوك على ندالة لاحد لها . وليس هذا غريبا على زعماء كانوا في ايامهم الماضية يؤيدون المستبدين ويضعون السلاسل على ابواب البرلمان ويضربون النواب والشيوخ

والذي نراه ازاء هذه الحركات وخاصة ازامحركات الطلبة ان الوزارة الوفدية قد قصرت اكبر التقصير في نشر الدعاية . ولاعني الدعاية لها وان كانت قد تنفع بها . وانما نعني الدعاية للدستور والديمقراطية والحرية اى ايجاد «الايدولوجية» التي يحتاج اليها شبابنا . فكان يجب ان يكون في البلاد كتب صغيرة وكبيرة تبين للجمهور - وخاصة للطلبة - تاريخ اسماعيل صدق باشا في هدم الدستور وتأييد الاستبداد والصراع العظيم بين قوات النور والحرية وقوات الظلام والاستبداد اوبكلمة اخرى تحتاج الى كتاب يصف الجهاد بين الامة وزعمائها وبين المستبدين منذ سنة ١٩٢٠ الى الآن . فيذكر فيه زيور باشا الذي جمع البرلمان في الصباح وطرد اعضائه في المساء بالاشتراك مع اسماعيل صدق باشا . ثم تاريخ محمد محمود حين عطل الدستور وضرب النواب بالعصى . ثم التاريخ الاسود تاريخ اسماعيل صدقي الذي اعاد الى البلاد حكم المالك والشركس

ونحتاج الى كتب اخرى تبين معنى الديمقراطية والبرلمان والثورة الانجليزية والثورة الفرنسية والثورة الامريكية وما الى ذلك ما يمكن ان نعمم به «ايدولوجية» سود اذعان الشبان فتبهم عن الحركات الرجعية التي تتخذ الوانا زاهية من الدين او النزاهة او الشرف وهي في لبابها حركات استبدادية يراد منها في النهاية احالة مصر الى عزية كبيرة ينهبها المستبدون

وعندنا ان مثل هذه الكتب يجب ان تنشى فلا يزيد ثمن الكتاب على قرش ولا تقل صفحاته عن مائتين . ويمكن تأليف نحو ثلاثين أو اربعين كتابا من هذا النوع لايجاد الثقافة العصرية

التي تهىء الأمة للشورة حين يشب واثب مثل اسماعيل صدقي الى الحكم ويلغى الدستور ويقول لنا بالتقاليد التركية التي ورثها عن جده اننا يجب ان نقتع بالجلاليب الزرق وان نكف عن مطامعنا وان البرلمان بدعة اوربية لاتوافق المصريين

ازمة المزارعين

انحطت اثمان القطن انحطاطا عظيما جعل المزارعين يعانون ازمة لاتقل في حدتها ن عازمة سنة ١٩٣٠ • ومتى عمت الازمة الريف انتقلت الى المدن لان القطن هو المحصول المهم الذي نعتمد عليه في تاديه الثمن لوارداتنا • ولهذا السبب تفشى الفقر في المسدن • والسائر في شوارع القاهرة يجد مئات من الدكاكين المغفلة التي لايجد من يستأجرها • وفي المحكمة المختاطة عدد كبير من قضايا الانلاس • والمزارع الذي كان لايبالي دينا قدره مائة جنيه قد اصبح يعد هذا المبلغ عبثا لايمكن التخلص منه

وقد اقترحنا في العام الماضي خفض الجنيه الى نصف قيمته • واعدنا هذا الاقتراح هذا العام • ولكن الوزارة التي تخشى وساوس الاجانب وتحب ان يسمع عن ثقتنا الاستقرار واثبات تكريم هذا الاصلاح • ونحن لاثبتك في ان في خفض رائحة كريمة • ولكن انخفاض مع الضبطو المراقبة بعيد للريف رخاء يحتاج اليه اشد الحاجة هذه الايام • والاجانب انفسهم سيتنفعون من هذا الرخاء ولنا ندعي ان انخفاض ترياق لكل داء في الريف • ولكنه دواء لا بأس به يخفف اعباء الديون فينشط المزارعون الى الزراعة فزيد المحصولات • كما ان الغلاء الذي سوف يعم الواردات الاجنبية سيجعلنا نعتمد على محاصيلنا ومنتجاتنا المصرية • وفي هذا تشجيع للجهد الاقتصادي الوطني

معاش الشيخوخة

يقضى برنامج الوفد أن يكافح الفقر • وهذه المكافحة هي أشرف ما في هذا البرنامج • ولكن الوزارة لاتزال مقصرة في هذا الميدان • فان العطل في المدن لم يعالج • والبؤس الذي يعانيه الفلاحون

الاجراء وخاصة في الصعيد يدفعهم الى الاجرام . وقد تدخلت الحكومة لمصلحة المزارعين في حرية الزراعة عشرات المرات ولكنها لم تدخل مرة واحدة لمصلحة الفلاحين الاجراء . وفي المدن ملاحي . للمعجزة ولكنها لاتنق بالغاية المنشودة منها

وعندنا أن مما يعالج به الفقر في الوقت الحاضر معالجة سريعة الاثر ان تمنح الحكومة معاشاً لكل من يبلغ السبعين من العمر رجلاً كان أم امرأة في المدينة أو الريف . وحسبنا أن نبداً بهذا المعاش بمبلغ متواضع لا يزيد على خمسين قرشاً في الشهر . ولا يكلف هذا المعاش خزانة الدولة أكثر من ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف جنيه في العام كله . ثم هو سيفتينا عن الملاحي . أو عن معظمها كما أنه يعيد للشيخوخة حرمتها . ومثل هذا المعاش يمكن أن يكون بداية تتدرج منه الى زيادته مع منحه لمن هم أقل من السبعين

تعليم الكبار

يرى القارىء هنا صورة فصل في مدرسة من مئات بل الوف المدارس التي تنشئها الولايات المتحدة لتعليم الكبار ولو كانت أعمارهم تزيد على الخمسين أو الستين . وهذا مجهود شريف يبين بعض نواحي اثر السامى في الحضارة الحديثة



الطلبة الشيخ يتعلمون في مدرسة في نيويورك

فندق مصري

كانت صناعة الفنادق الى الآن من محكرات الاجانب . حتى كنا عندما ندعو الى تشجيع السياحة يقال لنا أنه لافائدة من هذا التشجيع لان السياحين ينزلون في فنادق أجنبية وينفقون فيها ولكن المهمة التي عرفناها في الزعيم الاقتصادي محمد طامت حرب باشا قد بسنه على تمصير هذه الصناعة . فقد اشترى بنك مصر المبني الكبير الذي يقع جنوب ميدان الاوبرا بالقاهرة وهدمه . وعن قريب سيقم مكانه فندقا مصرية يعيد الى مصر بعض المكاسب التي يجب أن تربحها من السياحين . ومن هذا الفندق سنتعلم انشاء الفنادق وادارتها . ورجال بنك مصر جديرون بالثناء العظيم لهذه المهمة

في الخارج

- ١ - كانت الجيوش اليابانية منتصرة طول الشهر الماضي تكتسح الجيوش الصينية أمامها . وهي أى القوات اليابانية تتجه الى الغرب والجنوب
- ٢ - لم يحدث تطور جديد في الموقف الحربي في اسبانيا بين الثائرين وبين الحكومة . ولكن الموقف السياسي تغير قليلا لان الميل يتجه في أوروبا نحو الاعتراف بحكومة الثائر فرانكو
- ٣ - كان قد عقد مؤتمر في بروكسل يراد منه إيجاد طريقة للتسوية بين اليابان والصين . ولكنه فشل
- ٤ - اعلن قيام حكومة فاشية في برازيل والغنى الدستور

وفاة رمسى مكدونالد

مات رمسى مكدونالد - وهو واحد من أولئك الاسكوتلانديين الذين لا ينسى الانجليز أنهم يبحثون اليهم من اسكوتلانده لكي يحكومهم - فان اسكوتلانده صنو انجلترا في دولة بريطانيا - وليس لها برلمان خاص بها لان برلمان لندن يمثل الاسكوتلانديين كما يمثل الانجليز - وان كان الاولون أقلية لا يستطيعون أن يطبعوا البرلمان بطابعهم - ومن هنا نشوء الحركة الوطنية بينهم هذه الايام ورضيتهم في ايجاد مجلس نيابي اسكوتلاندى

نشأ رمسى مكدونالد فقيرا - فخرج الى لندن حيث استقر التعليم - وما زال يدأب في الدرس والاختلاط بالاحزاب السياسية وتفهم المذاهب الاقتصادية حتى انتهى الى الاشتراكية فاستقر عليها وعينه حزب العمال المستقل سكرتيرا فبقى في هذا المنصب أكثر من عشرين سنة يقود فيها سفينة الاشتراكية المعتدلة في بريطانيا

وكان رمسى مكدونالد شغوقا بالكتب - ولو لم تقض الاقدار عليه بأن يحترف السياسة لكان مؤلفا في الاجتماع أو الادب - ومما يتبادر به أصدقاؤه أنه كان ذات مرة ينتقل الى منزل جديد فوضع الحمالون اكداكس الكتب في غرفة دون أن ينتبهوا الى ثقلها فانهار السقف تحتها لوفرتها وقد أوشك أن يفقد بصره في أواخر سنه لفرط احمائه على الدرس - ولعل هذا الاذمان هو السبب لاعتداله فانه كان بعيدا عن الغلو في مذهبه الاشتراكي حتى أنه فسر عبارة «الثورة الاشتراكية» التي ترد كثيرا على ألسنة الخطباء والكتاب بأنه لايراد منها غير المعنى المجازي لا المعنى الحرفي - وهذا الاعتدال هو الصفة اللازمة للرجل المثقف الذي يمتد بصره الى أوسع دائرة من الآراء والافكار فان التعصب للفكرة أو العقيدة هو في أغلب الاحيان برهان الجهل الذي يحصر صاحبه ويمنعه من رؤية الآراء والافكار الاخرى .وهول «في أغلب الاحيان» لاننا نعتقد أن هناك آراء نحتاج

للدفاع عنها الى روح التعصب . وقد وجد رمسى مكدونالد نفسه في هذه الحال مدة الحرب الكبرى فانه على الرغم من اعتداله عارض حكومته في هذه الحرب . وبقى طول مدة القتال وهو يدعو الى السلم . وقد قاطعه مواطنوه فاستقطوه في الانتخابات ولكنه أصر على دعوة السلم

ويحكى عن اثنين داهية الشيوعية الروسية انه قل ذات مرة في حديث مع أحد الصحفيين الانجليز «ان الثورة الاشتراكية سوف تقع في انجلترا وسوف تنجح أيضاً الا اذا وقف لها واحد من المعتدلين عندهم مثل رمسى مكدونالد . فانها عندئذ تفشل »

وكان لنين كان يقرأ الغيب في هذه العبارة . ففي سنة ١٩٢٩ كان مكدونالد رئيس وزارة للعمال وكان يعلن للعالم أنه اشتراكي وان كان في الجناح الايمن من الاشتراكيين الانجليز . وكانت الاشتراكية مذهباً محبوباً في ذلك الوقت ولم يكن على الحزب السائد الا أن يسير في تنفيذ برنامجها



رمزى مكدونالد باليمين وفيليب ستودن بالوسط

على نحو ما فعل ليون بلوم في فرنسا . ولكن مكدونالد لم يتأخر عن تحقيق نبوة لئين عنه . اذ أنه في الساعة التي كان الرأي العام الانجليزى يطلب فيها الاشتراكية انحرف مكدونالد وألف وزارة قومية بلا سبب معقول . وكان هذا الانحراف صدمة قوية لم تنتعش منها الاشتراكية في بريطانيا الى الآن

فاذا كان الاعتدال نتيجة الثقافة والدراسة الواسعة والخبرة العامة فاننا يجب أن نؤدى ثمن كل ذلك بالبطء في تنفيذ البرامج الإصلاحية . وقد يرى بعضنا هذا خيرا ولمكدونالد مؤلفات في الاشتراكية المعتدلة . وقد ترجم حسنى العرابى واحدا منها الى العربية ولكنه ليس أفضلها ولا أحسنها . بل مؤلفات مكدونالد جميعها يمكن اهمالها ازاء التطور الدراسى الحديث في هذا المذهب

وقد كان في مكدونالد رجولة تبدو في المواقف المعصية . كما رأينا في موقفه مدة الحرب الكبرى حين قاطع أمته أو كاد . وقد عاش ديمقراطيا لا يعرف الترف بل لعله كان يخافه . فانه رفض أن يكون لوردا . وهذه ابنته اشيل قد انجحت فندقا وهي تدبره بنفسها

ولا نستطيع أن نقول أنه خدمنا في القضية المصرية . فانه كان يلوم الاحرار والمحافظين على تلكؤهم في تسوية الخلاف بيننا وبين الانجليز . وكنا نعتقد أن اشتراكيته سوف تجعل هذه التسوية عاجلة وميسورة . ولكنه لهذا الاعتدال الذى أشرنا اليه والذى جعله بعد ذلك يؤلف وزارة قومية ويترك مذهب الاشتراكي انحرف الى ناحية الاستعماريين ورفض التسوية عند آخر لحظة

على اننا نذكر له شيئا يستحق عليه الرحمة بعد وفاته . ذلك انه عندما وثب اسماعيل صدق باشا الى الحكم وقف مكدونالد في مجلس النواب وصرح بصوت عال بأنه لا يمكن أن تجرى مفاوضات بين الحكومة البريطانية وبين وزارة تطبيع الانتخابات وكان هذا الطابع المقصود هو من يدعى اسماعيل صدق باشا

ولكن صدق باشا والدين كانوا يستنونه ويدفعونه الى الغاء الدستور لم ينجحوا وطبخت الانتخابات وبلغت نتائجها ٦٧ وسبعة أثمان من الفوز للصدقيين .

التراجمة والسياح

في مصر واوروبا

بقلم الدكتور امير بقطر

لست أعرف بين الطوائف المصرية ، من هو « أبرز » شخصية ، وأشد مغنطيسية وأكثر أثرا في التاريخ الاجنبي من طائفة التراجمة . وكما حاولت تحليل العناصر التي تتكون منها هذه الشخصية الغريبة ، وأردت أن أنفهم سرها العميق ، زدت حيرة على حيرتي ، ودهشة على دهشتي

الادلاء في أوروبا افراد عاديون ، لا يسميرون من سواهم في شيء سوى الرطانة ببعض اللغات الاجنبية ، والالام بشيء من جغرافية الاقليم ، وتاريخه ، وآثاره ، ودوره ، ومنشأه وارشاد السائح الاجنبي اليها ، والتتويه له بمحاسنها أو مساوئها . وليس للدليل غير ذلك من جاذبية ، أو لباس ، أو شخصية ، تترك في ذهن السائح أثرا من اثره ، بعد انتهاء المهمة التي كلف القيام بها والتراجمة في الاصل ادلاء ، لا أكثر ولا أقل . وكان من المنتظر ان يكونوا كأمثالهم في أوروبا ، لا يميزهم عن سواهم غير المهنة التي يزاولونها ، كما تميز سائر المهن اصحابها عن سواهم . غير أن الواقع لا يؤثر في ذلك . فالتراجمة المصريون ، في لباسهم الفضفاض ، وألوانهم الزاهية ، وهندامهم المتقن ، وزيمهم غير المألوف ، تتجسم فيهم شخصية نادرة ، لا تمت بصلة لشخصية الادلاء ، وتسكن أجسامهم روح غير روح زملائهم في أوروبا ويرفرف حولهم ملك الوحي الذي يعتد الغريون أن الشرق لا يزال مهبطه الوحيد ، وتحوم حولهم أجنحة متكسرة من بديع الخيال الذي يتصل بأقاصيص موروثه عن الهرم والصحراء وأبي الهول . وصفوة القول ان التراجمة المصريين ، قد حبك

التاريخ من شخصياتهم أروع القصص ، وصاغ من قصصهم ما يزرى بخطابات ألف ليلة وليلة ،
ومن أمثالهم ما تلجج بذكره الركبان .

يهبط السائح الغربي بلاد الفراعنة لأول مرة ، وصور الشرق ، وأحلامه ، ورواياته وسائر
الاشباح الذهبية ، ترسم في مخيلته ، وتثل أمام عينيه ، كصور قديمة منسية ، كان قد شاهدها في
شريط سينمائي عتيق بال ، في زمن كانت فيه « السينما » حديثة العهد ، مضطربة الاشباح . وقد يكون
قدومه ليلا ، فيقضى ساعات النوم في فندق سميراميس في أحلام وخيالات ، لا تقل ذبولا واضطرابا
من الصور الذهبية ، والروايات الغرامية ، والمعجزات السحرية التي قرأ عنها فيما كتب الكتاب
عن الشرق من الصور والروايات والمعجزات .

وما يكاد يغفو قبيل الفجر ، بعد أن تطوى صفحة الأحلام ، وتفيب أشباحها ، حتى يهب من
رقاده ، والكرى لا يزال في معاقد جفنيه ، وإذا بالصبح يسفر عن يوم مشرق الدياتحة ، وإذا بالنيل
وما وراءه من تاريخ تليد ، يشق الوادي ، وهو لا يزال منها غديا سائفا للواردين ، وإذا بشجيرات
التخيل الباسقات ، تذهب في جوف الفضاء على الضفة الأخرى ، مجالة سيقانها الدقيقة ، متعاقبة
تيجانها الخضراء ، وكأنها والنسيم يداعبها وأشعة الشمس تفرق بين أغصانها ، قطعة من
جنان الفردوس

بهذه الصور والاشباح ، وفي هذا الجو الجديد الغريب ، وتحت هذا الاديم الصافي ، تتجسم
الخيالات في ذهن السائح الذي يهبط بلاد الفراعنة لأول مرة في حياته ، ويهجر وطنه لأول مرة
وبهذه الخيالات بشرع في مشاهدة مصر ، أقدمية والحديثة ، معتمداً على الدليل في كل شيء ، حتى
ينسى أحيانا أنه عيونا تبصر ، وآذانا تسمع ، وعقلا يفكر ، وكأن الدليل عنده بمثابة
العين والاذن والعقل .

ونحن لا نتكلم هنا عن السائح المزن ، أو المثقف ، الذي يكون منزلته من الدليل منزلة القاضي
الحكيم العادل من الشهود ، يتخذ أقوالهم حجة ، أو ذلك السائح الذي درس تاريخ مصر القديم
وحالها الاجتماعي الحديث أو ذلك الذي يقرأ الكتب ويدقق في تصفح الخرائط والرسوم قبل

الاقدام على رحلة من الرحلات . ان هؤلاء ليسوا كثيرين كما يتوهم البعض . انا تحدث هنا عن ذلك المحدث « الغنى الجديد » الذى لم يرحل من بلاده ولم يلق به الى هذا البلد الاجنبى الا الحظ والصدفة والمال الذى آكل اليه من حيث لا يعلم . وانا تحدث هنا عن الشاب الثرى الطائش الذى لم يقدم على زيارة هذا البلد الا ليقضى ليلة مقمرة فى الصحراء ورماله الذهبية اللون ، على مقربة من الحرم الاكبر ، ينسى فيها المدينة وقبورها ، ونواميس الاخلاق وصرامتها ، والتقاليد الاجتماعية والحدود الدينية وحرمتها . وانا تحدث هنا عن تلك الفتاة المستهتره التى لم تقرأ كتابا فى حياتها واستاغته : الالف ليلة وليلة وامثاله ، ولم تهبط الى ارض مصر الا لتقضى ليلة من هذه الليالى التى كانت تحمل بها مدة أن أحست بطبيعتها الجنسية الثائرة . وانا تحدث أخيراً عن تلك المعجوز الشمطاء الفاجرة التى تناست حلال الشيخوخة ، وكرامة الشهور البصاء تتوج رأسها وعقدت النية على الانتقام من ماض عفيف ، رزين طاهر . والميش « ولو بضة أيام » فى حاضر خبيث فاجر . ذكر لى أجنبي فاصل من الدين عاشور . فى مصر طولا أنه سمع دليلا يسرد الاكاذيب تليها الاكاذيب لشابة سائحة أجنبية . وكانت المائدة التى يجلس عليها فى شرفة شبرد بجانب مئذنتها ، فضاق ذرعاً ولم تعلمه آذانه أن تسمع أكثر مما سمعت . فذهبت الى السائحة الساذجة وقال لها فى عزم وشيء من الشدة : لانصدق شيئا ما قاله لك هذا الدليل أيها الأنسة . فقالت . ولكن أليست عيناه جيلتين ؟ ؟ ؟

ومن أبداع ما سمعت حادث جرى لاحد كبار علماء الآثار ، وهو امرىكى ولعله الدكتور روبرت كان فى معبد الكرنك بالاقصر مرة ، وكان الدليل يتدفق دليلا وهو يترجم الى الانجليزية ارتجالا لوحة هيروغليفية لسيدة أجنبية ولما أن أتى على آخر عبارة نظر العالم الى السيدة وقال لها ان الترجمة على بلاغتها لا تتفق والاصل فى شيء على الاطلاق وليس فى هذه اللوحة حرف واحد ما قاله لك الدليل . ففضبت السيدة وخطبت العالم بشدة وغيظ . وأنت ماذا تعرف عن هذه اللغة الهيروغليفية وكيف تجرؤ أن تكذب هذا الرجل ؟ أليست هذه اللغة التى ينطق بها لغة أبيه وأمه وأجداده ؟ وهذا النوع من السياح يعادفه المرء فى كل مكان ، والادلاء فى أوروبا

لا يفوتهم التهمك أحياناً إذا ما أنسوا في الجماعة «أو الفرد» التي يقودونها الجبل والبساطة مثال ذلك
ماحدث مرة في باريس فيما كان الدليل يتحدث عن بناء الأوبرا وإذا به يقول مستهزئاً : أراكم
تدهشون لكبر هذا البناء واتساعه. ولكنكم ستزدادون دهشة إذا علمتم أنه من الداخل أكثر
اتساعاً منه في الخارج.

فأجابت إحدى السائحات. هذا ما كنت أوقمه تماماً

وكثيراً ما يكون الأدلاء في أوروبا على شيء من العلم والثقافة ليس بقليل ، فيذكرون لسياح
احصاءات وأرقاماً ، ويجددون معلوماتهم عنها كلما ظهرت بيانات حديثة عنها ، ويدون أرقام
الخاصة بأسلوب يدل على التفكير والمنطق والفلسفة. وأذكر هذا العام انني كنت أشاهد مع جماعة
من السياح إحدى الكنائس «سنت فراري» في مدينة البندقية في إيطاليا ، فمع السكان سيدة
عجوزاً من الدخول لأنها كانت فرندى حذاء بعير جوارب. وغناط اصداقها لهذا التسف بغير
مسوء وقالوا إن س هذه لمسيكية كن ينبغي أن يكون شيعياً لها. وأراد الدليل أن يعطف على
جماعة السياح الذين كانوا معه فحاطبهم نحو دقيقتين في موضوع يكاد يكون فلسفياً تكلم فيه عن
التناقض الظاهر في بوا ميس الأخلاق والتأريق بين اللائق وغير اللائق في العالم ، وأراد أن يضرب
مثلاً واقعياً مناسباً لمقتضى الحال . فأخذ الجماعة إلى زاوية في هذه الكنيسة وأشار إلى تماثيل من
الممر عاريين ، بدت منهما أعضاء انتاسل ظاهرة إيمان وقال : أيهما أدعى للتحريم وأشد إثمارة
للشهوات في مكان مقدس معد للعبادة ، عجوز أهملت حجابها لحرارة الطقس ، أم نثال جميل على
هذا النحو الذي وصفناه ؟ ثم اردف ذلك بهذه الاسئلة : الا تدخل الفتاة القروية الكنيسة أحياناً
عارية الساق ؟ ألم يكن الكثيرون من القديسين حفاة الأقدام ، ومتى كانت الأقدام العارية مثيرة
للشهوات ؟ فخيّل إلى ان الدليل استأذ في الفلسفة الحديثة أو علم الاجتماع

وحدث هذا العام أيضاً ان الدليل في احد متاحف السلاح كان يشير إلى « حرام العفة » وما
يحوط به من الاسلاك الشائكة المديية : وكانت الجماعة التي يقودها مكوّنة من نحو خمسين سيدة ونفر
قليل من الرجال. فسألت إحداهن الدليل في صراحة تامة إذا كانت أحزمة العفة هذه وامية بالمرام
في ذلك الزمن. فاستأذن الدليل السيدات في سرد حكاية تاريخية معروفة أجابة عن هذا السؤال .

فأذن له فقال

ذهب أحد حكام البندقية مرة وكار قوادها على رأس جيش لمحاربة النمسا. وجريا على المعتاد أوصد حرام العنة جيداً وحرص على أن يكون مفتاحه معه في مكان أمين، خصوصاً وأن امرأته كانت آتقنى الحسن والجمال، وكان شديد الغيرة عليها. ولما ان عاد بعد سنوات يحمل أكليسل النصر استقبله الشعب استقبالا لم يسبق له مثيل، وكانت نشوة الفوز والعظمة تكسوه جمالا وجلالا. بيد أنه ما كاد يعتكف الى غرفته الخاصة ليلا، حتى لمحت عليه امرأته الجميلة، امارات الحزن والاستياء، وكانت قد تزيت للقائه، وارتدت أنغر الملابس وأبدعها. فسأته عن سبب وحومه فقال لها: لقد أضعت مفتاح الخزام، ولا سبيل الى فتحه لأن قفله مسيع، واشواكه قدمت من أحوذ الفولاذ فاطرقت الزوجة قليلا ثم طبت خاعله، والانسانة تحاربين شفتيها ويدها تطوقن عنقه وقالت: هون عليك يا حبيبي فأننى كنت طيلة هذه السواب احتفظ لدى بمفتاح آخر... وكان الدليل يسرد هذه القصة التاريخية بكل تحفظ وسياسة وحياء واتزان. ولم يكذب على امرأته حتى دوت قاعة السلاح بالتصفيق

• • •

ونعود الى الدليل المصرى فنقول أنه ارقى اليوم عما كان من سنوات، ولو كانت سوق السياح رائجة كما هي في أوروبا اليوم، لكانت ثقافته اضعاف مما هي عليه. ولستأ نمانع في أن يبقى رى التراجمة المصريين بلوانه الزاهية وتأثيره النفساني كما هو. بيد أننا نريد ان تكون هذه الطائفة أكثر ثقافة وأغزر علما، وأمنن حلقاً ولولا صيق الزمن لعقبنا على هذا البحث بكلمة اسيفة رثيائياً لمواسم السياح المصرية التي كانت أن تمنح صفحاتها من الوجود. في الحين الذي فيه تروج أسواقها، وتربح تجارتها، وتتضاعف ارقامها، في كل بلد من بلدان أوروبا تقريباً. ان عدد الاميركيين وحدهم الذين يزورون باريس صيفاً لا يكاد يصدق، إذ أنه يزيد عن نصف المليون. وهذه مدينة البندقية وسكانها ٢٣٠ ألف فقط يبيت في فنادقها في موسم السياحة «من ابريل الى نوفمبر» في المتوسط كل ليلة ٢٥٠ ألف أى أكثر من عدد سكانها. وقد اضطرت البلدية في اغسطس أن ترجع خمسين ألف سائح كل ليلة «عنة مرات» للبيت خارج المدينة في القرى والبلدان المجاورة لعدم وجود

الأمم كن السكينة فيها . وما يقال في باريس والبندقية يقال في سائر العواصم وامهات المدن
ولسنا مباليين او محطئين اذا قلنا أن أسباب الفشل في هذه الصناعة المصرية — السياحة —
دون غيرها من الأمم ترجع الى «اولا» اللصوصية في الفنادق وعدم توافرها لجميع طبقات السياح
«وثانيا» موسم الاضطرابات والمظاهرات الذى يستهل به كل عام موسم السياح «وثالثا» السمعة
السيئة التى اشتهر بها الدليل المصرى فيما يتعلق بالمعرفة اولا والاجرة ثانيا وانخلق ثالثا . وإن كان لا
يفوتنا ان بين هذه الطائفة عدد من الذين قد انصفوا بعمارة الخلق والامانة والاخلاص
قال لى أحد كبار السياح الاميركيين مرة أنه اذا أتيت له أن يزور بلدا واحدا فى العالم كله
لاغير فانه لن يختار سوى مصر ؛ وإذا قيل له ان يختار بمد ذلك بلدا واحدا لاغير فى اوربا فان
لا يختار الا ايطاليا . ويتفق وهذا الرأى معظم السياح الذين شاهدوا العالم كله ودرسوا معالم مدنه
واحواله . أفلا يجدر بالقائمين بالأمم أن يعملوا على إزالة الاسباب التى تنفر السياح من هذه البلاد
الفنية بآثارها ومظاهرها التاريخية الخالدة . وتوفير أسباب اراحة لقوم يندرون على الآلوف من
المصريين بالرياح الوفير والخير العميم ، فضلا عن العناية الحسنة لمصر والمصريين ؟

امير بقطر

الزيادة الحتمية فى النسل واسبابها

للاستاذ نظمي شحاته

موضوع السكان والنسل فى مصر آثار هامة ما خلاصاً فى كثير من الدوائر الطبية والاجتماعية فى السنوات القليلة الماضية ، وبذلك نال هذا الموضوع الحيوى بمض ما يستحقه من العناية وهو جدير بالاهتمام لخطورته ، فهو موضوع الحياة وهل هناك ما هو أثمن من الحياة أو أولى منها بالعناية والدرس ؟ وكان من الطبيعى أن نجد بين الباحثين من يرى أن نمو السكان فى مصر أسرع مما تسمح به مرافق البلاد وتقدمها وعلى ذلك يدعو الى تنظيم النسل وتحديدده . وإن نجد منهم أيضاً من يعارض هذه الفكرة أشد المعارضة . ومنهم أيضاً من يجدها يعارضها فى وقت واحد ارضاء لدعاة التحديد ، وارضاء لدعاة التكاثر أيضاً !

ولكنهم جميعاً على كل حال متفقون على أن هناك مشكلة قائمة وهى أن نسل طبقات الموهوبين والمحظوظين ضئيل جداً بالنسبة الى نسل عامة الشعب والفقراء والمنحطين ، وأى فى هذه الكلمة لا أعالج من موضوع النسل إلا ناحية خاصة بالبحث فى الاسباب القائمة فعلاً والتي تدفع العائلات الى أن تكثر من سبلها أو على الأقل لا تحاول تحديدده رغم رغبتها فى تجنب زيادته مع التنويه بلزوم تعرف العائلات لوسائل منع الحمل السليمة لاستخدامها اذا لزم الحال ذلك .

ومن الحالات التى سأذكرها ما يصادف الكثير من الناس ومحاولتى هذا التعليق عليها فى اختصار .

١ - خشية العقم

الامومة عاطفة طبيعية فكل امرأة غير شاذة ترغب فى أن يكون لها طفل أو أطفال وهى تسعد

بأن تكون أما وتنشئ الى حد كبير ان كانت عاقراً لسوء حظها .

والزوجه الجاهلة لا تعرف عن اخطر شؤون الحياة وهى شؤون التناسل شيئا يذكر فهى على ذلك لا تتدخل فى ظروف الحل مطلقاً . أما المتعلمة العارفة بالشؤون الاجتماعية والمسائل التناسلية فى مقدورها أن تعين الوقت المناسب الذى تحاول فيه أن يكون لها طفل ، والمعرفة شئ ، والتنفيذ شئ . آخر أذ أن التنفيذ يخضع لظروف خاصة تحيط بالمرأة وتؤثر فيها تأثيراً قوياً لا يدركه الناس وقد لا يدركه زوجها وشريكها فى الحياة . ومهما كانت درجة التعليم عند المرأة ، ومدى وقوفها على ظروفها الصحية والاقتصادية وما تتطلبه من وجوب تغيير أوقات مناسبة للحمل فقد تنسوا الظروف فتسلسل اراذلتها وتدعوها الى الاسراع فى الحل فى وقت يقول فيه عقلها بوجوب عدم محاولة ذلك . من هذه الظروف القاسية أن يكون للشابة المتروكة حديثاً قرية أو صديقه عاقر لا تدفع خشية هذه الزوجة من أن تكون هى أيضاً مصدبه بالعقم . أو تصورهما لامكان أصابتها بمرض يجعلها عاقراً ، ومعرفتها لحالة اشتاء التى عليها . فحرمات من الامومة تدفع الى تجنب محاولة منع الحمل ، وتحصل على الطفل الأول فى اقرب فرصة وهى شبه مكرهة وهى بذلك تنسى ما كانت تنطوى عليه وهى مخطوبة فى أن تحمل سى زوجها الأول سى متعة وتبرير وبدء لمستقبل زاهر ، وتجنب للأوراق المادى والصحى

٢ - الطمع فى الحصول على طفل ذكر

فى المجتمع المصرى لا يزال تقدير الولد ارفع من تقدير البنت ولا تزال المرأة محرومة من كثير من حقوقها فهى لم تأخذ مكانتها المحترم بعد ، وليس أدل على هذا من مظاهر الفرح والقبطة التى تعم الأهل والأقارب عند ما يولد مولود العائلة الجديد ذكر لا أنثى ! والنساء فى مصر قد تأثرت بهذا الوضع والفن . هذا الوضع الذى سلب المرأة شخصيتها فرضيت دون أن تشعر أن تلغى أهم مظاهر الشخصية ألا وهو الاسم . فهى تحمل أسم ابنتها ، واسم زوجها وهى سيدة واسم ولدها « لا استنها الأكبر منه » وهى أم . وعلى ذلك فهى ترغب فى أن تكون ذريتها من الذكور وتنام كثيراً اذا كانت كلها أنثى ، وفى كثير من الحالات عندما يرزق الوالدان طفلاً

اننى ان موقفها من منع الحمل يتغير فلا يزالان وسائل منعه بل بتركها فترة حتى يحدث حمل آخر يرحى منه أن ينتج ذكراً . فإذا كدت القدرة الاولى للعائلة من الاناث فن مثل هذه العائلة تستمر فى الاكثار من نساها ولا تحاول تحديد ولو رزقت بعد ذلك بولد أو ولدتين ، وما كانت هذه العائلة ترغب فى كثرة النسل . وما كانت ظروفها الصحية والمادية تسمح باكثاره ، ولكن نظرة المجتمع للمرأة هى التى تدفع الى هذه الزيادة غير المطلوبة .

٣ - الجبل بوسائل منع الحمل

ك من أم فقيرة هزيلة تود أن تعيش بقية أيامها على الأرض متمتعة بحياة هادئة ومعاشرة زوجية هنيئة لا تصحبها مشاغل الحمل ومتاع نزع وسكاليف تربية الاطفال العديدين ؟ ك من أم ترغب فى هذا كله بعد ان تكون قد قست الأمرين من عدد الولادات التى اضعفتها وهضمت قواها عسراً ، واذنتها هى وزوجها فى السعى للحصول على القوت الضرورى لاطفالهما ؟ قد يحيل لبعض الناس أن الطلقات المعيرة من الملاحين والعمال لا يمر بذهنهم هذا الخاطر ولا نجيش فى فوسهم رغبة منع الحمل لتخلص من الارهاق ، وسكنهم فى ذلك غير واقعين على ماجريات الحياة ، وانهم ليجدون الاجابة العادقة عند المشتغلين بتسالى الاصلاح الاجتماعى ، وفى مراکز رعاية الطفال ، وقد صادفت كثيراً من هذه الحالات كما أن الناس جميعاً يعرفون أن الكثيرات من الامهات تحاولن الوصول الى غيتين من حيث منع الحمل بوسائل مؤذية ليست من الطب فى شئ ، والدافع الى كل هذا هو عدم اعلان وسائل منع الحمل الصحيحة ، الامر الذى يفرض معرفتها على الممتازين المتأدبين ومحوبة عن العامة وهم المحتاجون اليها مما يدعوهم الى اتباع الوسائل غير الناجحة والمؤكدة الضرر .

إذا كث المصلحون يشكون من كثرة نسل المنحطين فان اهمال العمل على نشر المعارف والوسائل الصحية بالاساليب الفنية الناجحة يعوق الاصلاح فيكثر النسل غير المرغوب فيه وفى الوقت نفسه يقل نسل الموهوبين قلة مزعجة تنهى بمستقبل مظلم ينحط فيه مستوى المجتمع .

٢ - الوسائل الطبية الحالية لمنع الحمل

في شهر مايو سنة ١٩٣٧ قامت الجمعية الطبية المصرية بتنظيم سلسلة محاضرات للبحث في تنظيم النسل في القطار المصري ونشرت كل الابحاث في عدد خاص من مجاتها في شهر يوليو سنة ١٩٣٧ . وكان بين المحاضرين اعلام الطب الاختصاصيين في امراض النساء والولادة وقد شرح بعضهم شرحا كافيا الوسائل التي تتبع في منع الحمل مع عمل مقارنات بينها جميعا وبيان افضائها في نظره ، كما أن البعض الآخر اعترض اعترضاً حراً على منع الحمل ووسائله وأسهب في شرح اضرارها جميعاً ومع ذلك فقد ابدى هؤلاء المعتضون في الرأي ما يؤكد وجوب منع الحمل في حالات خاصة أمكنهم تعيينها . وعلى العموم وتناء البحث الذي سارت فيه الجمعية الطبية يتضح لمن يتابعه بالدقة أنه يتضمن أقرراً وسداً وجوب نشر المعارف انماضه بمنع الحمل واستخدام وسائله في حالات معينة تسع دائرتها وتضييق حسب وجهات الدار المختلفة . فمن الباحثين من يرى وجوب مزاولتها في عائلات الفقراء والمرضى والجهلاء ومنهم من يرى وجوب قصرها على الحالات التي يكون فيها الخطر على صحة الام مؤكداً والحالات التي يخشى فيها على النسل من نتائج الامراض الوراثية الخطيرة .

ومن هذا نرى ان هناك على كل حال وسائل ناحية باضرارها لا تذكر اذا قورنت بنتائجها ولكن بالرغم من هذا نجد ان المتعلمين الذين يعرفون قيمة الوسائل الطبية يهتمون بمزاولتها اهمالاً تاماً وذلك بسبب ما تحتاجه هذه الوسائل من اتخاذ بعض الاجراءات وتحميل بعض المشاق في مزاولتها خصوصاً في المرات الاولى حتى تصير مألوقة سهلة التنفيذ .

وصنف آخر من المتعلمين متوسطي الحال والفقراء يجرمون من مزاولتها لانها غالية الثمن نسبياً أو باحري لانها ليست بالجانب . وعلى ذلك فية هؤلاء الناس ورغبتهم في منع الحمل صادقة ولكن ما يعوقهم الآن هو عدم معاونه الطب لهم على مزاولتها . وقد اقترحت للتغلب على هذه الصعوبة عدة اقتراحات اهمها العناية الخاصة بتعليم وسائل منع الحمل واجراءاته للاطباء والطبيبات وتقديم

لإرشادات اللازمة للعائلات في مراكز خاصة أو في مراكز رعاية الطفل وصرف الأدوات اللازمة للجمهور بلائحة باعتبارها كالدواء الذي يعطى للمرضى المحتاجين — وهي فعلا دواء أكثر من أمراض الأجيال الخطيرة

والأمل معقود على أن يتمكن العلم في المستقبل القريب من اختراع وسائل ضمن وأيسر استخداما من الوسائل الحالية وبهذا يتجنب الناس الزيادة في النسل التي تأتي اليهم وهم شبه مضطرين .

٥ - وجهة النظر الدينية

لأمور الدين سيطرة مباشرة أو غير مباشرة على كثير من الأمور الجلية الشأن وفي مقدمتها أمور الارزاق والأعمار فهذه الأمور **عد عامة الناس تكون** محاطة بهالة تجعلها غامضة : ذات جلال ورحمة على كل حال . وهذا لايشأ نتيجة لعامل معين بذاته أو كثر لدروس دينية خاصة وإنما ينتج عن مجموعة كبيرة من المعتقدات وما يتبعها من تصرفات اجتماعية منذ أيام الطفولة الأولى ، ولهذه المعتقدات قيمتها التي لا تنكر في تربية الشعب وتقويم أخلاقه وتحسين سلوكه ولكنها تؤثر فينا تأثيرا خفيا لا تقوى تعاليم الشباب والرجولة على تعديله إلا عند بعض الناس دون سواهم . فشلا قد يقتنع الفرد بسبب سوء حالته الصحية والمالية بوجود تحديد سله ولكنه يهمل هذا الأمر إهمالا تاما لا لعله واضحة في عقله ولكن متأثرا بوجهة نظره الدينية التي يقو بها الناس من حوله . وهو كرجل مستنير أو كسيده مستنيرة يحاول تبرير موقفه هذا بأن ينتخب من تعاليم الدين وأقواله ما يؤيد تصرفه صاربا الحائط بكل ما عدها ولو كانت البينة واضحة جلية لا تعمل في تفسيرها وفي الوقت نفسه مأخوذة من صميم الدين ، ويقول بها أئمة رجاله ولكنها لم تصل الى صميم أمثاله في أيام الطفولة والمراهقة بل عرفوا بها وهم رجال لايسهل عليهم تغيير موقفهم من الدين كما عرفوه

وقد دعاني الى التحدث في هذا السبب «وكتت أود غض الطرف عنه» مالمسته من موقف الكثيرين من الفتوى الصريحة الصادرة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية بتاريخ ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣٧ المسجلة

برقم ٨١ سلسلة جزء ٤٣ والتي تناولها حديث الجرائد والمجتمعات فترة ليست قصيرة وهذا نصها : —

صورة من القوى الخاصة بمنع الحمل

سأل سائل ، قل ما قول فضيلتكم فيما يأتي : — رجل متزوج رزق بولد واحد ويخشى ان هو رزق أولادا كثيرين أن يقع في حرج من عدم قدرته على تربية الأولاد والعناية بهم ، أو أن تسوء صحته لضعف اعضاءه عن تحمل واجباتهم ومتاعبهم ؛ أو أن تسوء صحة زوجته لكثرة ما تحصل وتضع دون ان يعصى بين الحمل والحمل فترة تستريح فيها وتسترد قوتها . فهل له أو لزوجته أن تتخذ بعض الوسائل التي يشير بها الاطباء لتجنب كثرة النسل بحيث تطول الفترة بين الحمل والحمل فتستريح الأم ولا يرهق الوالد ؟

أجاب : اطلعا على هذا السؤال وشيد بأن الذي يؤخذ من نصوص فقهاء الحنفية انه يجوز ان تتخذ بعض الوسائل لمنع الحمل على الوجه المبني في اصول كرام الله خارج محل المرأة أو وضع المرأة شيئا يسد فم رحمها ليمنع وصول ماء الرجل اليه .

وأصل المذهب أنه لا يجوز للرجل أن يثرل خارج الفرج إلا بأذن زوجته كما لا يجوز للمرأة أن تسد فم رحمها إلا بأذن الزوج ولكن المتأخرين أجازوا للرجل ان يثرل خارج محل المرأة بدون اذنها ان خاف من الولد سوء فساد الزمان . قال صاحب الفتاوى :

« فليعتبر مثله من الاعذار مسقطا لاذنها » والظاهر من عبارة « فليعتبر مثله من الاعذار مسقطا لاذنها » أن مثل خوف سوء من الولد فساد الزمان ما كان مثل ذلك من الاعذار كأن يكون الرجل في سفر بعيد ويخاف على الولد قياسا على ما قالوه قال بعض المتأخرين أنه يجوز للمرأة ان تسد فم رحمها بدون اذن الزوج اذا كان لها عذر في ذلك . وجلة القول في هذا انه يجوز لكل من الزوجين برضا الآخر ان يتخذ من الوسائل ما يمنع وصول الماء الى الرحم منعا للتوالد ويجوز على رأى متأخرى فقهاء الحنفية لكل من الزوجين ان يتخذ من الوسائل ما يمنع وصول الماء الى الرحم بدون رضا الآخر اذا كان له عذر من الاعذار التي قدمناها أو مثلها . بقى الكلام في انه

هل يجوز منع الحمل بإسقاط الماء من الرحم بعد استقراره فيه وقبل نفخ الروح في الحمل ؟ اختلف فقهاء الخنفية في ذلك وظاهر كلامهم ترجيح القول بعدم جوازه الا بشرط كأن يتقطع لبن المرأة بعد ظهور الحمل وله ولد وليس لانيه ما يستأخر به الظن ويخاف هلاك الولد . أما بعد نفخ الروح في الحمل فلا يباح إسقاطه . وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال حيث كان الحال كما ذكر به . هذا ما ظهر لنا والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

وبالرغم من اعلان هذه الفتوى وإطلاع الناس عليها ومهمهم لما تضمنته فإن الكثيرين متأثرون بمعتقداتهم الدينية الخاصة لا يبررون منع الحمل في أية حالة معها كانت الظروف .
وواضح أن الفتوى تبيح منع الحمل . بل الإسقاط قبل نفخ الروح في حالات تشمل عددا لا يستهان به من سكان مصر في الوقت الحاضر : وفتوى بحق خدمة حيلة للمجتمع المصري فلعله يعمل بها معدلا بذلك وجهة نظره الأدبية في مسائل الأرزاق والاعمار حتى يتبعوا ما جاء بها في يسر واطمئنان .
وعلى ذلك فهناك زيادة في اسل تخمها وجهة نظر الناس للدين .

٦ - انحطاط مستوى المعيشة

وتوافر الماء كل دون سائر مطالب الحياة

هذا العامل من اقوى العوامل التي تسبب زيادة في النسب تأتي اعتسالا وغصبا لاطوعا وتظهر قوة اثر هذا العامل في القرى المصرية وبين صفار العال .
فالطبقات الوضيعة التي ترضى بالحياة لأنها الحياة وكفى رغم خلو حياتهم من كل ما يجعلها حذيرة بهذا الاسم الذي يدل على سمو المسمى به .

هذه الطبقات تسعى في حقول عملها كما تسعى الساعة في مراعيها المجدية ، أو تتردد أنفاسها بين حدران المعامل الحفيرة كما تتردد أنفاس أخط أنواع الحياة ، وتترك كما تترك الأدوات والآلات ، وليس لها من هموم أو مشاكل ، ولا يبدو تفكيرها وأملها حدود تجنب الجوع الميت لا حدود

الحصول على اقدر انكاف لها من المأكل والملبس والمأوى وسائر مستلزمات الحياة ، وهي تؤثر على مايسددها على كل حال فميش القدرة ، والجعيف ، والملح ، وبقايا السمك المملح ، و آثار الجس المحفوظ ، والبصل وما على شاكلتها لانزال في تناول أيدي الساتين اليها ! « اذا امتلأت البطون بهذا الأكل » ان صح تسمية هذه الأشياء وحدها أكلا » تقول اذا امتلأت البطون وتحدت الابدان سمّت أصحابها الى اللهو بما تقدم من بعض العافية ، وأى هو أخص من مزاوله العاشرة الزوجية دون التمتع بغير ذلك من مسرات الحياة ! فمستوى معيشتهم المحططة التي قبلوها مخبرين أو مسيرين ! لآتجملهم يعرفون لغة الاطلاع على الكتب والمجلات أو الاستماع الى المحاضرات أو القيام بالرحلات والتمتع بمشاهدة المسرحيات أو زيارة الاندية وأماكن الاحتجاج الراقية . فليس أيسر اذن من النوم ملء الجفون واشباع الشهوة الجنسية وبذلك تنجح الفرصة لحدوث اكبر عدد ممكن من مرات الحل ؛ فلا عجب أن تريد نسبة المواليد بين طبقات المحطين . وهي زيادة لم يفكروا فيها مطابقا كما أنهم لا يعرفون التكلم في دهرهم .

ولو اردت احوال المعيشة ، و ارتفاع مستوى الحياة . لوحد أمتثال هؤلاء القوم من مددات الحياة ما يقلل بطريق غير مباشر نسبة مواليدهم .

هذا والريضة في ريادة دخل العائلة وتقويتها ليست سدا في السعي الى زيادة عدد اطفال العائلة . ولزواج المكر ؛ أو تجنب مسببات تأخير الحل فهذا أمر ليس له محل بين الأسباب التي ذكرناها لأنه لا يعقل أن يحول بحاطر انسان أنه يسعى الى اكثار نسله لينفع في تشغيل أطفاله العديدين في أقرب وقت والحصول على دخل كبير من ذلك ، أو يسعى الى ذلك لتقوية مركز العائلة بين سائر العائلات . وإنما ما يحدث هو أن تصاب العائلات الفقيرة بعدد كبير من الأطفال فتحاول بعد ذلك ادعاء اقوة لنفسها ويخيل اليها أنها محسودة من سائر الناس وهي في ذلك جد واهمة وقد تكون العائلات المحرومة من القدرة أسعد حالا ممن أصيبت بكثرة العيال مع الفقر .

وفي ذلك يقول القاضي مكدى من أشهر قضاة الأنجليز « وقد توفى في ابريل سنة ١٩٣٣ »

« ان الشقاء الذي تجلبه كثرة الاطفال عند الفقراء لا يعده أى شقاء » وصدور مثل هذا القول

بل هذا الحكم من قض خسر الحياة وتداولت بين يديه شتى امقضايا يجعل له قيمة خاصة

هذه هي أم العوامل التي يمكن أن يقال فيها أنها تترك الناس أكرها لافرق فيه على زيادة نسلهم والمصلح الغزير الخبير بشؤون المجتمع لا يقع باللائمة على أوائلك الناس الذين لم يتمكنوا من تدارك الزيادة في النسل المؤذية في معظم الحالات لأنه أعرف الناس بما يتطله المجتمع من شتى صنوف الإصلاح في الأمور الاقتصادية ، والتعليمية ، والصحية : وغيرها .

وأخيرا نختم مقالنا بكلمة قصيرة عن عقلية الإصلاح والتطور والرقى .

عقلية واحدة

المجتمع المتمدين كما جاء في تقرير الخبير العالمي عند درسه لموضوع مكافحة البلمبارسيا والانكلتوتوما في مصر هو المجتمع الذي تتلشى فيه الأمراض الطفيلية ويمكنه مقاومة الأمراض المعدية عند ظهورها ، وهذا التعريف صحيح من وجهة النظر الطبية .

ويمكن استعادة هذا التعريف لينطبق على خطاه التعليمية فنقول إن المجتمع المتمدين هو الذي تعتمد فيه الامة ويسعى الى تعليم أفرادها جميعاً تعليماً مختاراً . ومن وجهة النظر الاقتصادية نقول إن المجتمع المتمدين هو الذي يبال أفراداه التقدر الكافي من ضروريات الحياة ويسعى لتوفير الخبرات لهم من ساعات كفيه من الاربع الى نصيب وافر من الضعاف اللذيذ والسكن المريح وغير ذلك مما يخفف من متاعب الناس . وتكون هذه التعاريف كلها لامغالة فيها . وفلا تسمى الامة الراقية لتصل الى الدرجة التي تجعل مجتمعا جديرا بأن يوصف بالمتمدين . ولا تصادم أو تعارض بين هذه التعاريف كلها ومعنى هذا أنه لكي يرقى مجتمع كالمجتمع المصرى حتى يصبح متديناً فإن وسائل الإصلاح يلزم أن تشمل جميع نواحيه إذ أن عقلية الإصلاح التي تطلب التقدم الصحى للشعب هي نفسها التي تطالب رقيه في التعليم ، وتقدمه في الثروة .

والذى يبتينا من هذا في موضوعنا أن هذه العقلية هي نفسها التي تدرك مزايا تنظيم النسل وتحديدده بحيث يتناسب مع حالة العائلات والامم : فالمجتمع المتمدين هو الذى يعرف كيف يسيطر على نسله خبيراً بشؤون السكان ودارساً لكل تطور يطرأ عليها .

وما دام الامر كذلك فدعاة الاصلاح لا يمكنهم اهمال هذه الناحية الاخيرة التي لا تقل خطرا عن سائر النواحي والتي تسير معها جنباً الى جنب ولا يبعد أن يقال أن الوقت لم يحن بعد في مصر لتعليم الناس وسائل منع الحمل لاننا أمة تموت فيها الاطفال ، فعندما تنجاب على أسباب وفيات الاطفال يمكننا بعد ذلك أن نحدد النسل . هذا لا يتأتى مطاقاً فثل هذا الكلام يعرقل الاصلاح اذ المقبول أن نحاول القضاء على الأمراض الفتاكة وفي الوقت نفسه يتعلم أهل الجيل الحاضر والاحياء المقبلة المسائل التي تتصل بالنسل فهذا نفسه يعاون على تقليل نسبة وفيات الاطفال تدريجياً ؛ وكذلك يمكن من مزاوله منع الحمل اذا لم الحال ذلك وبذلك تتمكن من السير بالمتجمع الى الحالة التي نريه حتى يوصف بالمتدين ، وتجنب المحطاطه وتأخره وبذلك نخدم الانسانية أجل خدمة ما



الامتحان

قصة انجليزية تأليف ج. م. ورد

وترجمة نصيف ا. الهوري

مستر « يوليوس بيرلي ستيرن » ترى امريكي يملك قصرا على شاطئ نهر سنت لورنس وعامرة في الشارع الخامس من نيويورك ، حصنا في ايطاليا . ولقد أغراه بعض صحبه أن يشيد منزلا جديدا وسط الربوع الساحرة في جزيره « ليج ايلند » غير انه رفض اذ عول على استخدام المال الزائد على حاجته في تشجيع العلم . واختار مذبة « ناري تون » الواقعة على نهر الهدسون ليستخدم فيها هباته .

والآن وصل تقرير لمستر ستيرن من مدير المدرسة العليا في ناري تون ينشئ بان ثلاثة من طلبة السنة النهائية فازوا بجائزته حيث قد تفوقوا على اقرانهم وحصلوا بالتساوى على ٨٨ في المائة وهو الرقم القياسي المقرر للمنافسة . وهنا كتب مستر ستيرن رسالة للمدير اظهر فيها رغبته في الحضور في العام القادم ليرى الطالبة الفائزة بنفسه ، ثم ارفق ٤٠٠ ريال يعطى نصيبا للفائزين هذا العام والنصف الآخر للثلاثة الذين يقدر لهم الفوز في العام القادم .

وفي السنة التالية حضر مستر ستيرن وكان ذلك في يوليو ١٩٢٠ قدّم اليه مدير المدرسة ، الطالبة الثلاثة الفائزين بالجائزة وهم مستر دالي ومستر هملت ومستر بروكفيلد . فبنّاهم ذلك الثرى بتفوقهم وعظام ليتناولوا الطعام معه في المساء . وفي مجرى حديثه معهم ادرك ان لهم رغبة في الالتحاق بالجامعة غير أن الفقر يحول دون بلوغ مآربهم

وهنا قال مستر ستيرن « هذا ما كنت اتوقعه ولكن بما أنني ممن يشجعون مواصلة التعليم بالجامعة ، فأسألكم عرضا . سأقوم بدفع كل نفقاتكم في الجامعة - من سفر ونفقات المعيشة

وكتب ومصاريف مدرسية ومصاريف شخصية - لمدة اربع سنين ، وليختار كل منكم الجامعة التي يفضلها والمواد العلمية التي تروقه . ولى شرطان - ان يعد كل منكم بذل قصارى جهده وقت التحصيل في الكلية . وأن يأتى الى كل فرد منكم بعد نهاية السنين الأربعة ويسلم الى قياده طائعا مختارا - كرد مستر استيرن هذين الشرطين بنبرات أكيدة بطيئة - ثم أردف : ستقدمون الى امتحان أضمه لكم حينئذ : ولن يكون في ذلك الامتحان ارهاق او تعجير ؛ وجه الشبان اعرق عادات شكرهم وقد اذهلهم ما سمعوه وانقبوا ذلك بالمواقفة المترجمة بالانشراف والحساسة .

توالت الايام وفي يوميو سنة ١٩٢٤ : حصر الى القصر المنيب الحلى الخامس من نيويورك ثلاثة من أبغ خريجي الجامعات . أحدهم رالى اخنزر على درجة الامتياز والشرف والقانون من جامعة « يال » والآخر هبات اخنزر على **درجه الامتياز والشرف** من جامعة هارفرد في العلوم الفاسقية والآداب القديمة ثم بروكفيلد بدرجة الامتياز والشرف في اللغة الألمانية والفرنسية والاسبانية من جامعة جون هوبكنز .

استقبلهم مستر استيرن بترحاب وحياهم تحية حارة . ثم أخذ كل منهم على انفراد في حجرته الخاصة : وسلم لكل منهم مطروفا طويلا مصصوما ومكتوبا عليه اسم الشاب وكلمة « خاص » وقال لكل منهم بدوره « عدنى وعد شرف الا تفتح هذا المظروف الا عند ما تصل الى المنزل وتجلس منفردا وستجد بداخله كل التعليقات الخاصة بالامتحان »

فوعده كل منهم بذلك وأخذ المظروف وانصرف الى منزله في تارى تون وفي ذلك المساء كان كل منهم يتطلع الى تحويل مالى بمبلغ ٥٠٠٠ ريال وورقة كتب عليها ما يأتى :

هذا امتحانك

١ . عليك في خلال اثني عشر شهرا ان تقوم بزيارة هواندا او سويسرا ثم المانيا او فرنسا ثم ايطاليا أو اليونان وأخيرا عليك بزيارة مصر حنا

٢ . عليك ان تكتب تقريراً عما فتكره منها في الاقطار التي قمت بزيارتها ، وترفع الى ذلك التقرير

قبل نهاية اثنى عشر شهرا

٣. لك أن تحصر أو ترسل لى صندوق نقاب «كبريت» مملوءا برمال الصحراء من سفح هرم الجيزة الأكبر .

ملاحظة — لا تسأل أى سؤال يختص بهذا الامتحان لا كتابة ولا شفاها ، لا بطريقة مباشرة ولا غير مباشرة . لا تستشر أى انسان عن محتويات تلك الوثيقة ولا عن عزيمتك أو طريقك فى العمل بموجبها .

هذا امتحانك فتذكر وعذك الشريف م

الامضاء

ى . ف . استيرن

تحريرا فى ١٨ يونيو سنة ١٩٢٤

وهما انكب مستر رالى اخبر لدرجه الامتياز ، والشرف فى القانون والتاريخ على تفهم ترا كيب وقواعد ومعاني الوثيقة بكل قواه . وحمل **يقرأها ويكررها** ليدرك كليتها وجزئياتها وكأنه كان يحل لغزا غامضا ، حتى أتى على كل شاردة وأودة منها .

وأخيرا همس مستر رالى الى نفسه . لقد وعدت أن تعد هذا الامتحان بنيرة وإخلاص وواجب ان أفعل ذلك . ان الرجل لا يطلب مئ شيئا لنفسه . بل كل واجب ان اطيعه فى تأدية الامتحان المتفق عليه ، ولذلك فسأحترم كل كلمة من كلماته نصبا . لن أريد على شروطه شيئا فى ذلك سوء استعمال لتقوده ولن اتقص شيئا فى ذلك خروج على عهده .

وبهذا الروح قرأ مستر رالى تعليماته وأطاعها بإخلاص تام

التقى نظرة على الشرط الأول فوجد ان له الخيار فى زيارة بعض الاقطار اما مصر فهو ملزم بزيارتها ، عندئذ رسم لنفسه خطة بمقتضاها يبدأ بهولندا ثم فرنسا واطاليا ثم مصر وبعدها يقفل راجعا الى وطنه .

وصلا أخذ احدى النواخر الهولندية وكان سيرها يقضى عليه بالمرور ببريطانيا ، ولكن مستر رالى وان كان يحب ان يرى تلك البلاد غير انه وجد ذلك منافيا للشروط فبقى فى الباخرة دون ان يضع قدمه على الشاطئ . الى ان غادرت إنجلترا ووصلت الى هولندا . وهنا فكر فى الوصول الى

فرنسا بالسكة الحديدية ومعنى ذلك انه سيخترق بلجيكا بالقطار ويترب على ذلك ان يذكر مروره بتلك الدولة في تقريره ، وفي هذا شيء من اهمالة الشروط . وعليه فقد عول على الطيران من امستردام بهولندا الى باريس مباشرة وبهذا امر بشيء من الحرمان والارتياح ورجع والى عن طريق ميناء الاسكندرية ومنها الى نيويورك مراعىا التدقيق التام فلم يضع قدمه في ملطة ولا جبل طارق ولا اى ميناء آخر .

ثم تأمل رالى فى القسم الثانى من الامتحان لاسيا عبارة ماتفتكره معها وهنا ادرك ان المقصود منها ليس « كل » ماتفتكره معها اذ افله ان يختار أهم شيء . وعليه عول على ان يقدم تقريره عن الصحة مراعىا فى ذلك ما يفيد وما يضر بالصحة العامة .

وعند رالى الى جداول احصائيات الاعمار فى كل دولة رازها ودون ملاحظاته عن حالة الالعب الرياضية ودورات المياه وطرق التوبة فى تلك الدول ومقدار تأثيرها فى حياة السكان وأعمارهم

انتقل رالى الى القسم الثالث من الامتحان فوجد ظاهرا لا بفعل التاويل

وحدث انه بلغ الاهرام ، لحاربه تحربة شديدة اذ زين له ان يعلا صندوقا ثانيا من الرمال يكتب عليه « من بين كفى أبى الهول » وقصد بذلك عمل مفاجأة طريفة . ولكنه فكر فى الامر مليا فوجد انه ليس له سمان على هذا العمل الذى لم يرد ذكره فى تعليمات ، وعندئذ تراجع عن فكرته .

وعندما تم مستر رالى كل النصوص المذكورة ضم تقريره الى صندوق الثقاب المملوء بالرمل من سمح هرم الجيزة الا كبر بعد ان غلفه جيدا حتى لا تتسرب محتوياته ، ثم ارساها مسجابين للبريد الى المنزل بالشارع الخامس فى نيويورك فى آخر مايو ١٩٢٥ .

اخيرا وصل رالى الى منزله فى تارى تون ، وهنا وضع يده فى جيبه فوجد ان ٥٢٣ ريال و ٧٥ ستما « قيمتها ثلاثة ارباع الريال » لا تزال باقية لم تصرف . فردد فى نفسه تلك العبارة « هذا امتحانك » وعندئذ شعر بوخز ضميره الحى ، وكان أن وضع تلك القيمة طى رسالة أخرى باسم

مستر استيرن ، صاحب المال حقاً وشرعاً .

* * *

مستر آرثر هملت خريج جامعة هارفرد بدرجة الامتياز والشرف في العلوم الفلسفية والآداب القديمة - قرأ ورقة امتحانه بتأية فائقة ، يد أنه استهجن لنفسه سياسة اخرى تختلف عن سياسة مستر رالى .

ثم همس الى نفسه ، انه امتحان على أى حال وبعد أن قرأه ثانية أطرق هنيهة وقال « ان العقدة في الجزء الثالث » .

وبادر بأقرب فرصة فحجر لنفسه حجرة باحدى البواخر من عابرات الانالتيك ، وصرف بعض الأيام قبل السفر في مكتبات نيويورك ، ولما اجتاز المحيط توجه الى لندن وقصد المتحف البريطاني يدرس ويبحث ويدون المذكرات . وصرف على هذا الحال شهرا كاملا ذكره بشدة ساعدت الدرس عناء أيام الكلية . وأعجب ذلك ريادة عاجبه لهولدا ثم ثلاثة شهور في المانيا ومثلها في ايطاليا وأخذ ثلاث شهور في مصر .

ثم ضمن نتيجة أبحاثه في ثلاث رسائل قيمه تشتمل انماطها الخاصة بالحالات الصناعية والعلمية والدينية في كل من الاقطار الثلاثة السابقة ، ثم لخص أسباب ونتاج الحركات الحديثة القائمة في المانيا وايطاليا ومصر وما تتركه من أثر في أوروبا وأمريكا . فتضمن تقريره آراء حاسمة عن موت الروح الديني في المانيا وإيطاليا وعن المبدأ الفاشستي وكيفية تخليده لشخصية موسوليني ، وقتله لفرن الادب الايطالي في نفس الوقت . ثم أن مصر ن يعضى عليها رمن طويل حتى تغير الموقف التجارى والديني في الشرق بأجمعه . ولما أرسل مستر هملت هذا التقرير تم طبعه وما كاد ينشر حتى نال اهتمام العالم . وأثار بحثا طويلا وأحرر مركزا خاصا في بريطانيا وأمريكا كرسالة « القاعة في فن الأدب »

ثم بدأ هملت يسائل نفسه : لقد طلب مني استيرن أن أبذل أقصى جهدي ، وهو حق في ذلك وهذا فرض على . قال أنه يرغب في امتحان ثقافة الجامعة . وكل سطر من سطور الامرين رقم ٢٠١ من شروطه بني . بأنه يرغب في اختبار ملكة تحكم العقل وبعد النظر وملكة تكوين الرأي وقوة

التمييز والتفريق بين المهم والثافه من الاشياء . ثم استمر هملت يسائل نفسه ، الامر رقم ٣ --- ترى هل هو أمر ؟ --- هنا المفز . هل اضافة مستر استيرن ليرى هل لنا من سلامة الفوق ما يشجعنا على حذفه ؟ وعلى أى حال فصندوق الكبريت أقل الاشياء صلاحية لاحتواء الرمل .

ولما اشتدت به الرغبة فى ايهال الامر رقم ٣ . بدأ هملت يستشير كثيرين من الثقات عن الخواص الجيولوجية للرمال المصرية ، عليه يجد فيها صعة نادرة أو خاصة لم يقف عليها من قبل فلم يجد . وأخير ذهب الى وطنه وأرسل تقاريره وبعد تردد طويل أرسل كيساً صغيراً مملوءاً بالرمل ، وصرح بأنه يخشى أن يكون قد أساء فهم تعليقات البند الثالث .

* * *

أما مستر تشارلس بروكفيلد خريج جامعة جون هوكنجز الحائز على درجة الامتياز والشرف فى اللغة الالمانية والفرنسية والاسبانية . فما كد يابى غفرة على ورقة الامتحان والتحويل المالى حتى كد يفقد صوابه لشدة فرجه : ولما أوفى من دهره عمد الى براعته وحذر هذه الرسالة :

تارى تون فى ١٨ يونيو ١٩٢٤

سيدى المحترم مستر استيرن

امام منحتك السامية التى ضمنت لنا عاماً كاملاً كله تمتع ومرح بعد أن سقت فشمشتا بعطفك طويلاً ، أجد نفسى عاجزاً كل العجز عن أن أقوم بشكرك مما أوتيت من الفصاحة والبيان . طالما تمتبت فى الاحلام لو أنيخ لى قضاء شهر واحد فى أوروبا والآن ها أنا أملك عالماً ! عالماً كاملاً لا يكفى درهما واحداً ! وإيم الحق انك ملك السخاء والكريم
تنازل ياسيدى بقبول فائق ثنائى واحترامى ما

خادمك المطيع

تشارلس بروكفيلد

حمل بروكفيلد تلك الرسالة وهو يهذى كالجنون طول الطريق الى أن أودعها صندوق البريد ، ثم قفل راحماً يبحث عن الباخرة حتى يلفها ، بيد أنه عزم على أن يرج فى طريقه على انجلترا حيث

زار أهم أعلامها ومنها الى هولندا والمانيا فسويسرا وهنا عرج على اسبانيا ثم اتجه الى ايطاليا ، ولم يفته أن يدون في كل بلد ما يراه من الملاحظات والصور . ثم وصل الى مصر وتمتع برؤية أشهر آثارها غير أنه أبدى اهتماماً زائدا بكل ماله صلة بتاريخ اخناتون ، كما رسم برشته عدة صور للقوارب السابحة في النيل وما تبعته في النفس من سحر وجمال ، وامام مشهد الصحراء أبدى أسفه بالقول : ليس لي من قوة الفن ما يمكنني من التعبير عن صمت الصحراء الرائع .

وأخيرا رجع بروكفيلد الى نيويورك في أول يونيو بعد أن صرف خمسة آلاف ريال عن آخرها الا انه تمكن من الحصول على مائة وخمسين ريالاً عن طريق بيع عشرين صورة من المناظر التي رسمها في أثناء رحلته . ثم اتجه توا الى منزل استيرن يريد مقابلته فأخبره السكرتير بأنه في سفر . فأجاب بروكفيلد بأنه يرغب في أن يترك له طرذا صغيرا ورسالة ، فادخل الى المكتبة حيث حرر الرسالة الآتية

نيويورك في أول يونيو ١٩٢٥

سيدى العزيز

الآن أرجع بعد نهاية رحلة عام كامل حافل بكل معاني اللذة والسعادة ، وذلك بفضل تلك المنحة السامية وقد وضعتها خلف ذلك الستار الذي سميت به «الامتحان» ولقد بذلت كل وسعى لارضى ممتحنى بكل ما أوتيت من جد وولاء فزرت كل الاقطار التي ذكرتها واكثر مما ذكرت ، ثم كتبت تقريرا عن كل ما رأيته معها . وأقصد به جمال الفن والطبيعة . أما عن الشرط الثالث فلعلك أردت أن تكشف به عما اذا كنت اذكرك في وسط سرورى ونشوتى ، وها أنا ذا كنت اذكرك يوما واكبر دليل اننى ألتبس ان تتفضل بقبول صندوق الثقاب الموجود طيه مع ما يحويه من الرمال المصرية .

المخلص

نشارلس بروكفيلد

وبعد أن وقع بروكفيلد بامضائه على الرسالة أخرج من جيبه علبة مغلقة ، هى صندوق الثقاب وقد صنع باتقان من الذهب النقي الخالص تزيينه النقوش الجميلة ، فأتى آية في الابداع . ولكن مع شديد الأسف لم يكن الفلاف الخارجى محكما فسربت منه معظم الرمال في جيب بروكفيلد وعن طريق ثغرة في جيبه تسربت الى الارض في أثناء سيره . وبقي عليه أن يلتجئ الى الرسالة ليضيف اليها

ملاحظة يشرح فيها ملحد ويندب فيها سوء حظه لفشله في اتمام ماطلب منه .

في شهر يناير سنة ١٩٢٦ ملت مستر استيرن فجأة دون أن يكون له من الاقربين من يخلفه في ثروته ؛ وكان قد سبق فكتب وصيته التي تقضى بأن تصبح عماراته الثلاث الفخمة بمحتوياتها وكل ثروته وقيمتها أربعة ملايين من الجنيهات لأحد الشبان الثلاثة الذي يعزز بهد نهاية الامتحان اكبر قسط من الذكاء والاهتمام والاخلاص في اطاعة الشروط .

أيهم ياترى نال الميراث ، هل هو خريج جامعة يال أو هارفرد أو جون هوبكنز ؟
أيها القارئ الكريم لعلك بما أوتيت من قوة الحكم تستطيع بسهولة أن تصل الى الجواب الصحيح وتذكر بثاقب فكرك من ذا الذي فاز في الامتحان .



ليوبولد الثالث ملك بلجيكا الذي زار لندن في الشهر الماضي

الارامل الصبايا فى الهند

الارملة فى الهند قد تكون امرأة وقد تكون فتاة لم يتم بينها وبين زوجها تعارف حسى وفى الهند نحو ١٨ مليون أرملة منهم أكثر من عشرة آلاف سنهن دون الثامنة. اطفال لا يعرفن انهن قد تزوجن أو أن آباءهن قد زوجهن وهن فى السنة الثانية أو الثالثة من اعمارهن . وقد يموت الزوج دون ان يفنضهن فيقتين ارامل ابكارا

وقد سنت الحكومة قانونا يجمع رواح الفتيات اذا كن دون الراسة عشر . ولكن هذا القانون حديث لم تدركه ملايين من التميمات اللاتى ياتين الترمل الآن . كما انه لا ينفذ فى القرى النائية فان الهند كبيرة تشبه القارة وفيها طبقات تعيش بميدة عن الحضارة ولا تكاد تعرف شيئا عن القوانين الا ما توارثته من التقاليد . ولذلك لا يزال زواج الاطفال قائما . فان العادة ان البنت عندما تولد او بعد الولادة يوضع سنوات يعقد لها بالزواج على اى رجل فتى او شيخ . وهذا لا يدخل عليها الا بعد ان تبلغ العاشرة او الثانية عشر . ولكن يحدث ان يموت الزوج قبل إدخاله عليها . وعندئذ تصبح هذه المسكينة ارملة

والأرملة مكروهة فى الهند وخاصة اذا لم تسلم لان الديانة أو التقاليد الهندوكية تقول بان الزوج لم يميت الا لأن زوجته قد اذبت فى حياتها الراهنة أو السابقة . والهندوكيين يعتقدون أنهم عاشوا على هذه الارض فى حياة سابقة . وان وفاة الزوج هو الجزاء لهذا الذنب . فهى لذلك مستولة ومطالبة بالتكفير . وطرق التكفير كثيرة ولكن افضلها ان تقصد الأرملة الى المعبد حيث تعيش سائر حياتها جارية فى خدمة البراهمة اى السكينة . فهى تسلم عافيا لهم أو هى بمبارة أخرى تصير عاهرة فى خدمة الدين . ولا يقتصر عمرها على البراهمة اذ قد يتجاوزهم الى غيرهم من الزائرين للعبد

وفي هذه العادة ما يعيد الينا ذكرى بل والبغايا اللاتي كان الكهنة في معبده يستخدمنهن
ولكن المعابد الهندوكية لاتتسع لملايين الأرامل . فان حلطن ييقن في البيوت بعش
كلثا صمت بل اسوأ . فلا يجوز للأرملة أن ترسل شعرها أو تتجمل . وبدهى أنه لا يجوز لها أن
تتزوج . وعليها أن تخفى نفسها عن الجميع لأنها شؤم لا يرتاح الي رؤيتها أحد . والمرأة عند الهندوكيين
لا ترث شيئاً عن أبيها أو زوجها أو أى شخص آخر . وحرمتها هذا يجعلها تعيش كالامة التي
تتوقف حياتها على العطف بل التحنن من حولها



أرامل قد تتلمذن في مدرسة في بونا بالهند

ومن هنا كانت كراهة الام الهندوكية لولادة البنات . فان الديانة تقول بحاجة الأب الى أن
يتم ابيه الشعائر الجنارية عليه بعد وفاته . فإذا لم يولد له غلام فانه يعد نفسه ناقصاً لم تنح له فرصة
الوفاة الكاملة . ولذلك ترغب الأمهات الهندوكيات في ولادة الغلام كثيراً . وهن ييكنن من البكاء
عندما يعرفن من القابلة أن المولود بنت . بل منهن من تدد البنت عقب الولادة
ولهذا الشقاء الذي تعانيه الأرملة الهندوكية فكر رجال البر من الانجليز والامريكيين في
انشاء المدارس لتعليم الأرامل . والسن تتراوح في هذه المدارس بين الثامنة والعشرين . وقد شرع
الهندوكيون يدركون الشقاء الذي قسم لاراملهن فاحذوا ينشئون المدارس لهذه الغاية أيضا . ويرى

القارىء هنا صورة مدرسة للأراميل يديرها رجل هندوكى فى مدينة بونا هو المستر وفارذا . وتعلم الأراميل فى هذه المدرسة القراءة والكتابة والقليل من الانجليزية ولكن الاهتمام الأكبر يتجه نحو تعليمهم النسيج حتى يستطيعون أن يعيشوا مستقلات بكده أيديهم وهن بميدات عن الاختلاط بالاسر التى تشاءم برؤيتهم . أو يعيشون فى بيوت الانجليز خادعات

وقد استطاع الانجليز أن يمنعوا أحراق الأرملة بعد وفاة زوجها . ولكنهم لم يستطيعوا رفع الأرملة الى المكانة الانسانية : ففنها لانزال محترمة مهانة مبعدة . وأعظم ما يتخذه الأراميل فى الوقت الحاضر هو مدارس المشرى للمسيحيين . وهى كثيرة منتشرة فى أنحاء الهند . وكذلك القليل من المدارس الهندوكية التى اشأها المجددون مثل هذا المستر وفارذا ، ولكن التقاليد المرفقة لنفس الهندية لا يمكن أن يرول ارهاقها الا بعد حهاد من السنين



مبنى جمعية الشبان المسيحية فى القدس . وهى تضم المسلمين والمسيحيين واليهود على الرغم من الشقاق القائم بين اليهود والعرب

بناء الاجران والمخازن وكانت الحكومة تعطيهم التبن اللازم لذلك في أول الامر فلما تكاسلوا منعت التبن وجعلتهم يجمعون بدلا عنه القش على أن يؤدوا المفروض عليهم كل يوم بيومه المعتاد . وكان ذلك العمل في نظر اليهود عملا قاسيا لا يطاق « كما أن أى عمل يعادله يعتبر شاقا في نظر كل العرب الرحالة حتى يومنا هذا » ولو أن ذلك العمل كان في الواقع عملا بسيطا محتملا .

وهنا بدأ تدميرهم من أرض مصر فحاولوا الخروج الى البرية حيث لا عمل في الطين أو التبن . والآن نعالج بشيء من التحويل مسألة خط سير اليهود في البرية لأنها مسألة فيها اشكال كبير وسأستجنب الاكثار من ذكر اسماء الأماكن لغرابتها عنا .

الزعم الاول لخط السير هو أن الشعب بدأ من نقطة تقع جنوب غربى بور سعيد بنحو عشرين ميلا . وعلى هذا الاساس تكون حادثة غرق جيش فرعون قد تمت في بحيرة التمساح ويكون الشعب قد سار أولا في شمال سيناء ثم بعد ذلك اتجه نحو الجنوب .

وهناك رأى آخر يقول بأنهم ابتدأوا من نقطة تقع جنوب غربى الاسماعيلية بنحو عشرين ميلا وعلى ذلك لحادثة الفرق لم تتم في بحيرة التمساح والترحال لم يكن في الشمال مطلقا .

وقد حاول اللاهوتيون الذين زاروا سيناء في العصور الحديثة دراسة الطريق الذى سلكه بنو اسرائيل في البرية وبعد الفحص والتحقيق استقر رأيهم في آخر الامر على الأخذ بالرأى المعمول به من ٣٧٠٠ سنة ! لأنهم وجهوا كل ما بحثوه بحيث يتفق مع ما جاء بالحرف في التوراة ولأنهم أخذوا لحروف التوراة المعنى « من مجموعة المعانى التى يمكن أن تعبر عنها كثير من الحروف » أخذوا المعنى الذى يتفق مع ما وجدوه مستقرا على تعاقب الاجيال . وهذا الرأى يقول بأن الاسرائيليين عبروا خليج السويس ثم اتجهوا جنوبا الى المناطق الجبلية في وسط سيناء في وادى فيران ثم الى قرب جبل موسى حيث سلم لوصى الشريعة . ثم الى أرض ادوم بجوار العقبة ليصلوا الى فلسطين .

أما غرق جيش المصريين فقد تم في خليج رأس السويس أو في البحيرة المرة التى يحتمل أنها كانت متصلة بالبحر الاحمر في تلك العصور . وهذا الرأى كان سائدا حتى وقت قريب جدا . ومن الناس من يطلب تفسيراً أكثر قبولا للعقل في مسألة غرق جيش المصريين فيرضون بالرأى

القائل بأن حادثة الفرق قد تمت في إحدى المنخفضات الرملية الواسعة قرب السويس حيث طفى البحر عليها بسبب مد عال ناتج من ريح شرقية عاصفة. ومن المستغرب أن المسلمين يعتقدون أن حادثة الفرق تمت في الجانب الآخر من سيناء عند خليج العقبة أى قريبا من الأراضي الإسلامية المقدسة. ولو أن مسألة وجود جيش المصريين شرق السويس في ذلك الوقت مسألة لا تفهم !

والرأى السائد حتى عهد قريب جدا عند كل الناس وحتى اليوم عند الكثيرين هو أن شعب اسرائيل عاشوا في البرية في جنوب سيناء حول جبل موسى الحالى. وقبل أن نورد الأدلة على ما يعارض هذا الرأى نأتى بوصف موجز لبرية سيناء.

شبه جزيرة سيناء على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب في البحر الأحمر. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام

الأول : منطقة رملية واطئة تقع في الشمال على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط

الثاني : هضبة من الحصى والاحجار الخيرة وتلى الهضبة السابقة وتشغل وسط سيناء

الثالث : المنطقة الجنوبية وهي عبارة عن حمال حرائبية مرقطة.

وفي المنطقة الاولى في الحرة الواقعة شرق مدينة العريش نجد ارضا رملية تنتج محصولا زراعيا جيدا خصوصا من الحبوب. وهناك أسباب جيولوجية تؤيد أن الجزء من هذه المنطقة الواقع غربي العريش كانت له نفس الطبيعة الزراعية أما الرمال التي تغطيه الآن فكلها حديثة للغاية وهي تغطي غابات كثيرة كانت موحودة في عهد سفر الخروج من أسفار التوراة وآثارها الحالية تدل عليها.

وهناك رأى سائد بأن بني اسرائيل اعتمدوا على المن واللهي والسمان في غذائهم في أثناء تجوالهم ٤٠ سنة في البرية وهو رأى خاطئ. يوضح خطأ دراسة سفر الخروج بلعمان قترى من هذه الدراسة الدقيقة ان المن لم يستعمل الا في الاشهر الاولى القليلة، وفي فترات القحط. وانهم فيما عدا ذلك زرعوا الارض والدليل على ذلك أنه عند تقديم الضحايا في الاعياد وفي الحفلات كان الخبز واللحم متوافرين

ووجود الدقيق والزيت والخراف والثيران والحير وغيرها دليل كاف على أن الشعب استتب الارض وأغلب الثقل أن معيشة اليهود ٤٠ سنة في البرية شبيهة بمعيشة أهل سيناء الحاليين من حيث

استغلال الأرض الزراعية والانتفاع بالنخيل واتخاذ الجهات الجبلية كرمى للأغنام فقط .
ولا بد أن شعب اسرائيل حاربوا السكان الاصليين وأخذوا أرضهم . وحرهم مع عماليق يصفها سفر
الخروج في اصحاح ١٧ الاعداد من ٨ الى ١٦ . وانهزام اولئك السكان سمحوا لليهود بأخذ أرضهم .
ومثل هذا الامر يحدث مع العرب الرحالة في وقتنا الحاضر ، وكذلك كان يحدث في مصر وفلسطين
قبل أن تهتم حكوماتها بتنظيم شؤون العرب .

ولأن موسى قد تزوج بنت جسر وكبير قبيلته في سينا فقد عاش اليهود مع هذه القبيلة في وئام
ويقال ان القوانين والانظمة التي وضعها موسى للشعب كانت من تدير هذه الشيخ الخبير بشؤون
المعيشة في البرية . وما يؤيد هذا أن هذه القوانين والشرائع هي المتبعة مع أعراب البادية حتى عصرنا
الحاضر .

والآن نورد الأدلة على أن أقدم شعب اسرائيل كانت في شمال سينا لا في جنوبها مبتدئين
بيان الخطأ في زعم المتحسين لكثرة الجنوب . إذ أنهم لا يكون في رحهم هذا على التقليد وحده
وهو دليل غير كاف مطلقا خصوصا إذا علمنا أنه بحكم التقليد صلا جبل سريال نحو ١٥٠٠ سنة آخرها
سنة ٣٠٠ ميلادية معتبرا أنه جبل الشريعة . وبعد ذلك عندما بدأ المهاجرون المسيحيون يكشفون
عن خط سير الاسرائيليين في البرية وعن جبل الشريعة رأوا أن جبل موسى هو جبل الشريعة .
ومعلوم أن الحقائق في الصحراء تتعرض للتموض والتسيان بطول الزمن
والأدلة على أن الطريق ومعظم وقت الإقامة كانا في الشمال هي : —

(١) مسألة ارتفاع جبل الشريعة : ذكر الكتاب أن هذا الجبل مرتفع للغاية وحقا أن
جبل موسى في جنوب سينا من أعلى جبالها أذ يبلغ ارتفاعه نحو ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ،
ولكن مسألة الارتفاع ادراكم سبي . ففي الشمال جبال لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠٠ قدم عن سطح
البحر ومع ذلك فمن يراها ينطعم في ذهنه أنها شاهقة للغاية وانها أكثر ارتفاعا من جبل موسى والعلّة
في أن جبال الشمال هذه تحوطها مناطق واطئة للغاية . أما جبل موسى فعوله عدد كبير من قمم
المرتفعات التي قد تعلو عنه وعلى ذلك فادرأك العلو دون اتخاذ منسوب معين كسطح البحر لا يتوقف
الاعلى حالة الأراضي المحيطة بالجبل . ولا أظن أن كاتب سفر الجامعة أو اهل زمان الخروج كانت لهم

وسائل قياس الارتفاع بالنسبة لمستوى سطح البحر .

(٢) والدليل الثاني هو أن جبال الجنوب جرانتيه وهى حقا تبعث فى النفس رهبة وتشعر من يقربها بأنها مقدسة وأنها أولى من غيرها بإقامة شعب الله حولها فى رحلته المقدسة ، ولكنها ليست ارضا صالحة للزراعة مهما كانت كمية الامطار التى تسقط عليها وأن انتاجها فى أحسن المواسم لا يمكن أن يكفى الشعب وما كان معه من انواع الحيوان . وأهم محاصيل هذه المناطق هو التمر وقليل من انواع الفاكهة ولا تزيد المساحة التى تصلح لزراعة القمح فى جنوب سينا بإجمعه على ٥٠ فدانا .

أما اراضى سينا التى تنتج الحبوب بوفرة فهى كما ذكرنا اراضى الشمال خصوصا شرق العريش الآن وشرقى وغربى العريش فى أيام الخروج وهناك من الآثار ما يثبت أن هذه البقاع قد استجمعت فى ازمة ماضية بأوفر من حالتها الراهنة وأن اثارا متقدمين برعا فى الزراعة قد استغلوها .

وشعب اسرائيل كما ذكر لنا فى سفرى الخروج . والعدد كان من طبقات متنوعة فمنهم السكينة واصحاب الحرف ، والرعاة وغيرهم وهذا يدعونا الى القول ان الفئات الاولى اتخذت البقاع الشمالية مسكنها فى حين ان الرعاة قد اختاروا وسط و جنوب سينا حيث الاراضى تصلح لرعى الماشية ..

وربما يعترض على الرأى المرجح لفكرة الاقامة فى الشمال بأن هذه الاراضى لا تكفى لمعيشة ٣ ملايين نسمة ، وهو ما يفهمه المعارضون مما جاء عن عدد أفراد كل عائلة خرجت مع موسى من مصر » كما ذكر فى العدد الاصحاح الأول » .

اذ ذكر بعد عدد افراد كل عائلة أن عدد المغتالين فوق سن العشرين هو ٦٠٣٥٥٠ مقاتلا فاذا قدرنا لكل فرد من هؤلاء زوجة وطفلين وأحد الوالدين » وهذا طبعا تقدير متواضع جدا بالنسبة للعائلات الشرقية . « كان العدد نحو ٣ ملايين . وخروج مثل هذا العدد الضخم دفعة واحدة من مصر الى البرية وأقامته بها نحو ٤٠ سنة أمر لا يمكن أن يصدق من له خبرة بشؤون الصحراوات . وهذا بما دعا بعضهم الى التعرض لازالة ما فى هذه المسألة من غوض فوق الى تفسير مقبول وهو أن الكلمة العبرية التى معناها آلاف لها معنى آخر هو عائلة أو قسم فاذا ذكر لنا أن بنى راويين مكر اسرائيل كان تواليدهم حسب عشائرم ويوت آبائهم بعدد الاسماء برؤوسهم كل ذكر من ابن عشرين

سنة فصاعداً كل خارج للحرب كل المدودون منهم لسيط رأوين ٤٦ ألفا وخمس مئة فانه يمكن تفسير ذلك بأن يحتوى السبط ٤٦ عائله ، ٥٠٠ مقاتل . وهكذا مع بقية الاسباط واذا اخذنا بهذا التفسير كان عدد المقاتلين من كل سبط يتناسب مع عدد العائلات .

وهذا يستلزم اعتبار أن احصاء مجموع المقاتلين : ٦٠٣٥٥٠ احصاء مغلوطاً أما بالاعتبار الجديد يكون عدد المقاتلين ٥٠٠ و ٣٠٠ و ٦٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠٠ و ٥٠٠ و ٢٠٠ و ٤٠٠ و ٧٠٠ و ٥٠٠ و ٤٠٠ يساوى ٥٥٥٠ مقاتلا

فذا قدر أن كل محارب يعول خمسة اشخاص في المتوسط كان عدد بنى اسرائيل نحو ٢٧ ألفاً « لا عائلة طبعاً » وهو جمع يمكن خروجه الى البرية واقامته بها ومعيشته في سينا الشالية الزراعية التى يقطنها نحو هذا العدد في العصر الحديث .

ومما يثبت أن عدد الشعب كان أقل من ٣٠ ألفاً أمران :

الاول : أن موسى كان يحكم بمسه في جميع المازعات والتقصايا

الثانى : انه كان يوجد بين كل هذا الشعب قبلئذ « دايتان » لا غير .

وما دعنا قد تعرضنا للمقارنة بين طبيعة الأرض في الشمال وطبيعتها في الجنوب فاني اذكر هنا أن قادس التى ذكرت كثيراً في سفرى العدد والجامعة ليست هي كما يظن عين قادس الواقعة على الحدود بين مصر وفلسطين لان هذه الاخيرة ليست عينها ويطلب انها تكون هي عين الجديرات الواقعة شمالى عين قادس بنحو خمسة أميال ومنها ينبع الماء بغزارة في مجرى في الوادى يجعل الأرض حولها خصبة . وهذا لك يوجد خزان متسع جدا من الحجر الجيري له قيمته الأثريه ولا يعرف عصر انشائه ولكنه ليس رومانيا على كل حال . ويصح ان يكون من اشاء الاسرائيليين انفسهم .

الدليل الثالث لبيان ان ترحال شعب اسرائيل كان اقلية في الشمال هو مسألة المن وقد قرر العلماء ان المن هو افراز حشرة صغيرة تنغذى على شجر اسمه بالانكليزية « تماركس » في اوقات معينة من السنة وهذه الافرازات على شكل حبوب بيضاء دقيقه توجد بكثرة في ايامنا هذه تحت هذا الشجر في الربيع وهى ليست بالغذاء الشهى ولكنها على كل حال تحفظ الروح مع

الجسد وهذه الاشجار نادرة الوجود في جنوب سينا وكثيرة للغاية في الشمال . وتوجد حضرات اى آثار لهذه الاشجار في منطقة واسعة على ساحل البحر غطتها الرمال الحديثة .
والدليل الرابع مسألة السان .

وقد ورد ذكره في التوراء في مناسبتين منفصلتين و قيل إنه كان يأتي على شكل سحابة من البحر وهذا منظر مألوف جدا يمكن مشاهدته على معظم سواحل البحر الابيض المتوسط في كل فصول الخريف وخاصة في سبتمبر و اكتوبر بعد فجر كل يوم تقريبا حيث تندفع هذه الطيور منهوكة القوى نحو البر لتأوى في اى عشب يصادفها وفي بعض المواسم يسهل صيدها بالأيدى لكثرتها وقد تكفى كثرتها لاشباع جمع غفير كشعب اسرائيل . وكان سمن هذه الطيور عظيمة لدرجة أنها كانت تسبب لهم الامراض التي ذكرت في الكتاب على أنها لعنة للشعب

وهناك مسائل أخرى كثيرة صد فكرة الخبث ؛ منها ان قدماء المصريين كانوا يجهلون شمال سينا بدليل عدم وجود أى مسمى أو أثر لهم هنالك في حين أنهم في الجنوب عرفوا مناجم النحاس ومناطق الاحجار نصف الكريمة فكانت لهم هناك معادن ، وحامية لحراسة المناجم .

أما موسى فكان عارفاً لبرية سينا قبل أن يقود إليها الشعب فقد زارها قبل وهو متزوج من بنت شيخ منها أو من شرق الاردن وليس من المقول أن يقود الشعب الى مكان تحمية جنود الاعداء . والمعبود المصرى المسمى سراية الخادم لا يبعد أكثر من ٥٠ ميلا عن جبل موسى الذى نظن خطأ أنه جبل الشريعة

ومعلوم من سفر العدد أن الشعب أقام نحو سنة كاملة بالقرب من هذا الجبل أى على مرمى من جيوش الاعداء وفي اراض احتبرها الاعداء - فهل هذا معقول ؟

أما الجبل الذى تنطبق عليه اوصاف الكتاب تماما فيقع على بعد ٣٠ ميلا جنوب العريش ويسمى جبل هلال وهو جبل من الحجر الجيري يعلو نحو ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وهو وأن كان أقل ارتفاعا من جبل موسى إلا أنه بظهور كأنه أعلى منه بكثير لأنه قائم وسط اراض منخفضة بخلاف جبل موسى .

واسم هلال يمكن أن يعنى شريفا وتستعمل أيضا للتعبير عن طريقة ذبح الحيوان ذبحا صحيحا

كما أن جبل موسى يقتزن أولا بمسألة تسليم لوحى الشريعة وثانيا بمسألة الذبائح التى كان يقدمها الشعب للرب

وفى فلسطين ومصر نجد لاسماء الاماكن فى احيان كثيرة معنى خاصا فالاقصر مثلا محرفة عن كلمة معناها الحصن . وبير شيبا معناها البئر السابعة والتل الكبير اسم لبلد له معناه . وغير ذلك كثير وكثيرا ما يكون للتقاليد شأن فى تفسير معنى الاماكن ولكن عرب سينا لا يعرفون لماذا سمى جبل هلال بهذا الاسم ولكنك تجد بينهم من يقول انه سمي كذلك لأنه كان مذبحا للحيوان فاذا سألته عن الوقت أو الغرض الذى من أجله جعل مذبحا فانه لا يجد جوابا .

اما اسماء الاماكن التى جاءت فى تقرير موسى فى اصحاح ٣٣ من سفر العدد فمن المسلى أن نعرف أنه لم يذكر سوى اسم واحد يقرب من اسم مكان فى الجنوب وهو وادى فيران ويقلب أنه وادى باران . أما فى الشمال فتوجد اسماء لا تسمى **سينا** فى العربية ولكنها قريبة جدا من الاسماء التى ذكرت فى سفر الخروج ومن أوصحها الوش وهى طالب العريش

ومن المستحيل أن نعين الطريق الموصوف فى الكتاب على الخريطة بالضبط وكل محاولة لا بد أن تؤدى الى الغموض .

ولكن من السهل أن نعين الشيء الكثير فى الارض السهلية المثثلة الشكل الواقعة بين العريش ورفح والقسيمة .



وقد ذكر اسم البحر الاحمر مرتين وهذا مادعا الى اعتبار ان اليهود عبروا البحر بالقرب من السويس ولكن الكلمة العربية المترجمة بالبحر الاحمر فى العربية ومعناها الصحيح بحر الاعشاب . وليس بالبحر الاحمر اعشاب تذكر واحسن مكان تنطبق عليه هذه التسمية هو بحيرة البردويل على البحر الابيض بين يور سعيد والعرش واذا قبل هذا المعنى فان ترحال الاسرائيليين ومسألة وجود المن والسان وأيضا غرق جيش فرعون تثم جميعها وينعدم التناقض والغموض الذى يشملها

نظمى شحاته

لندبرج

ثال الشباب الجسور

سمعنا كثيرا عن اسم لندبرج ولكننا لم نقرأ شيئا مسهبا عن ترجمته مع انه لا تخلو لغة حية من كتاب أو أكثر عن قصته الرائعة بقرأها الشان والفنيات لكي يعتبروا بها وتسمو اعينهم واطماعهم الى مستواها . وفي قراءة هذه القصة ما يثيرنا عن العوامل التي حركت لندبرج الى هذه الجراة التاريخية وعن الوسط الذي يؤهل الشاب في الولايات المتحدة لان ينزع الى البطولة والرغبة في المجد ففي سنة ١٩٢٧ دهن السلم كما لو استيقظ من نوم اذ به يسمع أن شابا في الخامسة والعشرين من عمره قد طار من أمريكا الى أوروبا وكأنه قد وثب وثبة هرليه . وأخذت الصحف مجلات وجرائد تتساءل عن هذا الشاب وتتأدر عن أصله وشخصيته وتشر صورته

ولندبرج هو الآن في الخامسة والثلاثين ولكن المتأمل لوجهه يشعر من يريق عينيه وشقرة بشرته أنه أشبه بالصبي منه بالرجل وهو كذلك في الحقيقة . فن وثبه من أمريكا الى أوروبا بدل على أنه يحتفظ بشيء كثير من طفولته . والاهل الرجل العاقل أو الذي نسبته الى العقل والوقار والذي يحرص على الاعتبارات الدنيوية يرضى بهذه المجازفة؟ ولكن من جهة أخرى لنا أن نتساءل هل هذا الرجل العاقل يذكره التاريخ في أي شيء؟ في اختراع أو اكتشاف أو ثورة أو تجديد؟

نشأ لندبرج في ولاية مينيوتا في الوسط الغربي من الولايات المتحدة . وابوه ينتمى الى أصل اسوجي ولكن أمه يرجع نسبها الى أصل انجليزي . وكان ابوه يشتغل بالقانون فيما نسميه « وكالة الدعاوى » وليس له نظير في نظامنا القضائي . وقد انتخب عضوا في برلمان الولايات المتحدة « كونجرس » من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٦ فانتقل بزوجه وابنه الى واشنطن . ومما يذكر عن

نشاط هذا الأب انه عندما وجد أن الواجبات تتراكم عليه جعل نظام عمله اليومي يبدأ فى الساعة الخامسة من الصباح فلا يزال فى مكتبه بنظر وحده أو مع سكرتيره الى أن يجتمع البرلمان . وكان الصبي لندبرج يتردد على البيت الايض أى بيت الرئاسة ويلعب مع ابن روزفيلت وانفتحت بينها من ذلك الوقت صداقة متينة

وإذا نحن تأملنا التعليم الذى حصل عليه لندبرج لم نجد فيه نظاما . فقد اضطرب تعليمه بين مدينته الاصلية وفى مدة اغترابه عنهما مع أبيه فى عاصمة الولايات المتحدة . وقد التحق بجامعة



وسكنسين . وكان عاديا لم يبق فيها غير سنتين ولكنه حصل على مكافآت فى الرماية بالسلاح . على أن تربية الانسان قد تتخذ طرقا خفية لاتدل عليها المدرسة أو الجامعة . فقد عرف لندبرج فى طفولته حياة الريف وعاش فى عزبة أبيه وكانت تجاور غابة شجراء حافلة بالطيور كان يلجأ اليها للتجوال والصيد . وقد تعلم ركوب الخيل والأتوسيكل وذاق لذة المحسطة فى السرعة وهو لا يزال دون الخامسة عشر . ثم كان جده لاهم طبيب أسنان . وكان الى هذا مخترا لا يبتأ يحرب

التجارب ويجمع الى ادوات خلع الاضراس آلات أخرى . وقد اخترع كانوا وسجل اختراعه وكان له بعض الشأن . فكان لندبرج يقصد اليه ويعالج الحديد والنحاس ويلوى قضيا هنا ويدق مسدرا هناك فاكنتب في ورشة جده هذه الصغيرة ميلا الى الميكانيات

وحين نقول أن لندبرج قضى سنوات في عزبة أبيه وملابس الزراعة يجب الاستخيل عزبة مصرية . ففي مصر نعيش في العزبة كما كان يعيش الاوريون مدة العهد الاقطاعي . رئيس يأمر ويشرف ولا يعمل يديه وعمال كالوالى . ولكن العزبة الامريكية ليست كذلك . لأن الآلات تقوم مقام العمال . ولذلك فان المالك الذى يملك مائة فدان يعود هو نفسه الزارع الذى يستخدم الآلات فى البذار والحصاد والرى وغير ذلك . وقد ملأ لندبرج هذه العزبة بكل جديد من الآلات

على أننا حين تأمل اضطراب التعليم الذى حصل عليه لندبرج يجب الا يفوتنا ان ام لندبرج كانت قبل الزواج معلمة . ولما مات زوجها عادت الى التعليم وهى تدرس الكيمياء فى احدى المدارس العالية . ومثل هذه المرأة بعد من الحظ العظيم للطفل أو الصبي أن يترى على يديها وأن يجد فيها اما ترحاه وتفرس فيه العلوم الشرف

وفى سنة ١٩٢١ ترك لندبرج جامعة وسكنسين اى بعد سنتين من التحاق بها . ودخل فى مدرسة للطيران . وكان سريعا فى تعلمه للترعة الميكانيكية التى تولدت فى نفسه من معاشرته لجده وتردده على ورشته ومعالجته لاختراعاته . ولم تمض عليه مدة حتى كان قد اشترى طائرة قوصار يؤجرها للمسافرين ينقلهم لقاء أحر من بلدة الى اخرى . وهذا العمل مألوف الآن فى الولايات المتحدة حيث يقدر الامريكيون السرعة حتى قدرها أو أكثر من قدرها

وفى سنة ١٩٢٣ رشع ابوه نفسه للانتخابات . فكان لندبرج يحمله على الطائرة وينقل به الى حيث الدائرة . ولكنه لم ينجح . وفى السنة التالية توفى ابوه . وهنا نجد شيئا يليق بالطيار لندبرج وامه معلمة الكيمياء . فلنهما احرقا الجنة وحمل الابن الرماد على طائرته وطار بها الى العزبة حيث قضى الأب ايام الطفولة وهناك نثر الرماد فوق ارضها

وكانت اقتحامات لندبرج الجوية تزيد على المؤلف . ولكنها لم تكن دعونة . فانه كان يحسب لكل حركة حسابا دقيقا ويتبصر فى العواقب القريبة والبعيدة . وكثيرا ما كان يخرج الى

جناح الطائرة ويهبط منها الى الارض وهى على أقصى سرعتها تحمله البراشوت
 وفى سنة ١٩٢٧ التحق بالجيش وامتحن فى ٢٣ مادة كان متوسط الدرجات التى حصل عليها
 فيها جميعا فوق التسعين (من مائة). وفى هذه السنة عقد العزم على قطع المحيط الاطلنطى بين القارتين
 على الطائرة وشرع يدرس هذا الموضوع درسا دقيقا . قصد الى كليفورنيا وهناك جمع ثلاثة آلاف
 جنيه لشراء الطائرة . والمسافة بين القارتين ٣٥٠٠ ميل تحتاج الى أربعين ساعة من اليقظة والالتباء .
 فجعل يترن نفسه على ذلك . يترك الموطر وهو يعمل طول هذه المدة ويتسمع له لىكى ينتقد كل
 مخالفة فيه . كما أنه صار يقضى يومين كاملين بلا نوم . فلما تم له كل ما أراد سافر من كليفورنيا الى
 نيويورك والشقة بينهما طويلة .

فكانت تجربة أولية لشقة المحيط . فلما كان يوم ١٥ مايو سنة ١٩٢٧ قصد الى دار سينائية لقضاء
 الامسية بعد أن اوصى منابوب الفندق بإيقاظه فى الساعة ٢١٥ من الصباح . وكان ذهابه للتفرج
 برؤية القصة السينائية ثم هان على أنه قد أنتم كل شىء . أراه أن يطفى له من التفكير فى هذا الموضوع .
 وهذا يذكرنا بما قبل عن هيئة أركان الحرب الألمانية التى أعدت كل شىء حتى اذا كان يوم التحرك
 للجيش قصد أعضاء هذه الهيئة كل الى فراشه للنوم ثقة بأن النظام تام وهو كفيل بكل شىء .
 فلما كانت الساعة الرابعة من الصباح كان نذير عند طائرته والوف الناس قد احتشدوا حوله
 وكانهم قد اجتمعوا لرؤية تنفيذ الحكم بالاعدام . فقد كان اعجابهم مشوبا بغصة اشفاقا على الشاب
 الجليل يقتحم المحيط الاطلنطى . ولذلك كان المتسمع الى هتافهم لا يتألك من الشعور بأنه مشوب
 بزفرة الاسف

ودعبت الام لتوديع الابن . ولكنها تركته قبل أن يركب الطائرة وكأن المسكينة عجزت
 عن مواجهة هذه اللحظة . ثم قصدت الى مدرستها وهناك طلبت من ناظر المدرسة الا يبلغها أحد
 شيئا سيئا أو حسنا عن ابنها ما دامت فى الدرس . وقضت اليوم وهى تتحدث عن الاحماض والقلويات
 ولا يجسر واحد من التلاميذ أو المعلمين على أن يذكر اسم ابنها
 هذا ماضئته الام . أما ما فعله الابن فانه قطع المسافة ووصل الى بورجه فى فرنسا . فكان أول
 ما فكر فيه عندما وطئت قدماه الارض الثابتة ان قال : اخبروا أبى

وقليل من الناس من يبلغ ذروة الحياة وهو في الخامسة والشرين . ولكن هؤلاء القليل هم الأبطال .

وبعد ذلك لا نعرف عن لنديج إلا أنه تزوج وأن وغدا شريرا خطف ابنه وقتله . وقد اعدم هذا الوغد على الكرسي الكهربائي بعد محاكمة دامت سنوات . ولكن لنديج لا يزال طيارا مقحاما وقد طار في الاقاليم الشمالية يبحث عن طريق حول القطب الشمالى يصل بين أوروبا وأمريكا وآسيا ونعرف عنه أيضا أنه قد اشترك مع العالم الكسبى كاريل فى اختراع قلب صناعى يؤدى للاسان ما يؤديه القلب الطبيعى



زهرة التفاح

قصة روسية تأليف مدام ميرجكوفوسكى
وترجمة الدكتور صبرى جرجس

- ١ -

« لم انشأنى بحيث لا استطيع الحياة دونها ؟ لقد فعلت هى ذلك ولست ملوما عليه »
كتبت هذه الكلمات وما أعجب ما أشعر به ! لكأنى أتحدث عن امرأة أحبها ولكى لأحب
امرأة ما . أنها أمى التى رست ذلك بحيث أحس انى أكاد أموت حاحة اليها . وأنت اذا آويت
رجلا فى الدفء طول حياته ثم تكرت له فناء ودعت به الى الزمهرير فليس عجيبا أن يموت كما
أموت أنا الآن

لقد دنت هذه الايام الاخيرة كبيرة المعنى عظيمة الدلالة بالنسبة لى . وانى لاخلال أننى وصلت
الى شىء ما ... أو أننى انتهيت نصف حياتى وما أدرى بعد ذلك ماذا سيكون من أمر ما سيتبقى منها ..
أتخطو فيها الى الامام ام أراجع الى الخلف أم أقف حيث أنا ؟ أرتفع صاعدا أم أهبط نازلا ... أم
ماذا عسى أن يكون الامر ؟

أنى الان فى السابعة والعشرين من عمرى ولكن احدا من الناس لن يصدق هذا ... فانا
أبدو عجوزا ... بل انى اعلمه وأحسه فى نفسى . لقد مرت على فترة من الزمان كلف فيها وجهى
جيلا وناعما مثل وجه أمى ، وكنا يومئذ ننظر الى المرأة سويا فتمجّب لشدة التشابه بيننا . أما الآن
فإنها لن تعرفنى لو رأتنى ... ستذكر منى الظهر المنحنى والعينين الباهتتين واللحية النامية والوجه الاصفر
الداكن . وأحسبنى سأموت عن قريب . لست أشكو مرضاً خاصا ولكى سائر الى الموت لان

الذى يحيا هو الذى يريد الحياة .. نعم انها ارادة الحياة التى افتقدها فلا اجدها . عندما أدركت هذه الحقيقة فى الايام الاخيرة وأيقنت أنه ليس هنا ما ينتظرني فى غدى خطر يالى أن أقدم على الانتحار ولكنى ترجعت لاني اخشاه ..

أنا موسيقى ... لست ، موسيقياً عظيماً ولكننى موسيقى لا بأس به كما يقول الناس . وأنا احب الانفعالات والتأملات الهادئة التى تملأ القلب بألم حلو وتفيض على النفس بسكون عميق . وعندما كنت اشترك مع احدى الفرق فى العزف « وهذا منذ عهد غير قريب » كنت فى بعض الأحيان أسدد النظر الى احد الوجاه من الجالسين فى الصف الاول فأسبح فى الخيال واقول كأنما اخاطبه « ها أنت تنظر الى مصنيا فى انتباه شديد ولكن لو أننى بدلا من هذه القطة عرفت اغنية روسية بسيطة تعيد الى خيالك ذكرى سنوات مضين منذ زمان بعيد وحديقة صغيرة تشيع الحرارة والدفء . وعينين غريزتين — قد تكونان فى عالم النسيان الان — : لو أننى فعلت ذلك لما استطعت ان تكبح عواطفك ولنهضت لتختل الى دمعك فى مكان منزول ونسك تحيى بذلك الالم الحلو الذى لا تستطيع هذه القطة التى أعرفها الآن ان تبعث اليها ، وأنا اعلم أنك ستحاول أن تخفى ذلك الالم لانك تشعر بالخجل منه ، وستحسب انك الوحيد الذى يشعر به وان الآخرين لا يشعرون ولا يقدررون ولكنهم جميعا سيشعرون ويقدررون ويخجلون ، وكل منهم يحسب انه فى ذلك الوحيد » . ان لكل انسان نقطة متوهجة لامعة فى ماضيه ، وان لى مثل هذه النقطة أيضا .

— ٢ —

مما يبعث على الملل أن يبدأ المرء الحديث عن نفسه منذ البداية اى منذ اوائل الطفولة . ومع ذلك وأنا ارى ان حياتى فى سن العشرين لا تختلف عنها فى سن العاشرة ، ولعلنى كنت فى سن العشرين أوفر سعادة لأننى كنت استطيع أن اخرج مع أمى وأن اسير معها جنباً الى جنب ويدي فى يدها فى حين اتى فى صباى كثيرا ما ثرت وصغبت محتجاً عليها لذهابها الى المسرح دونى ، وكنت أقول ان لاحق لها فى التمتع فى حين اقضى انا الوقت فى مراجعة دروسى ، فكانت تنوسل إلى وترحونى الصنفح عنها . ولكننا لم نشترك قط اذ لم يكن لئها سوى ولم يكن عندى الاها .

ولم أكن اكلم والدى قط فانه كان رجلا عجوزا دائم الانشغال بعمله . وكان يقيم فى جناح خاص فى المنزل ولا يكاد يدرى بوجودى . أما أمى فكانت صغيرة السن دقيقة الجسم جميلة الهيئة ذات عينين سوداوين كبيرتين تبين عليها النضرة وينبعث منها ضوء متوهج . وكان يحوم حولها عطر غريب لم أعرف اسمه ولكنه كان يذكرنى بمطلع الربيع .

وكنا نقيم فى مدينة كبيرة من مدن الجنوب فى منزل جديد بناء أبى نفسه ولكنه كان رطباً وغير مريح ؛ وكانت له حديقة صغيرة انيقة تحيط به من جميع نواحيه فكان يخيل الى اننى لا أستطيع أن أصل الى نهايتها .

ولم اذهب الى المدرسة قط لأن أمى لم ترض بذلك ، وكان لها أصدقاء كثيرون حاول بعضهم التقرب اليها ولكنى لا أظن انما شجعت أحداً منهم . وقد اختارت لى خير الأستاذة لتتقنى بالمنزل وكانت فى بعض الأحيان تساعدنى على الاستذكار ولكنها فى الاعاب كان سريعة الملل قليلة الصبر على الكتب ، فكانت تطوى الكتاب بعد قليل وهى تقول « هيا بنا الى نزهة قصيرة يا فولوريا » . وكنا نخرج — أمى فى ثيابها الجميلة ، وأنا سعيد لان لى مثل هذه الام القاتنة التى كنت قريب الشبه لها — فتره قليلاً ثم تعود . ولم تنغير أمى كما لم يلح عليها تقدم السن فلم تلت أن بدونا كأخ وأخته وخصوصاً عندما أخذ شاربى بظهور لحيتى تبت . غير أن هذا لم يؤثر على احساسى الداخلى . وعندما بلغت العشرين أخذت أظهر ميلاً جديداً الى الموسيقى وبدأت أفكر فى الالتحاق بالمعهد الموسيقى « الكونسرفتوار » وكنت يومئذ قد جرت امتحانان بنجاح ولم يبق على الا أن أقرر على أى نهج سأسير .

وقالت أمى « من المحقق انك ستذهب الى الكونسرفتوار فى موسكو فيجب أن تسرع لانك أشرفت على العشرين الآن . ستكون شهيراً يوماً ما وسترى أن نبؤى هذه ستتحقق »
فكنت أجيب « ومتى سأذهب »

فتقول « فى انطريف فيما أظن .. هل يرضيك هذا ؟ »
ولم يكن هناك بطبيعة الحال أى احتمال لذهابى دونها ، والا فمع من كنت سأحدث ومن الذى يخرج للنزهة معى ؟

و كنت في كثير من الأحيان أجلس في غرفتها على الأرض عند قدميها بجانب المدفأة كما اعتدت أن أجلس منذ كنت طفلاً فحدثها عن هذه الفتاة أو تلك ممن كن يحبني وأصف لها كيف كنت أغازلهن واختارمنهن من كنت أفضلها على الآخرين . وكان يخيل لي يومئذ أن جميع الفتيات واقعات في غرامى لحال شكلى واجادتي العرف على البيانو .

وفي ذات يوم قلت لى أمى « أتعلم يا فولوريا انك لاشبه الرجال على الاطلاق وانك كالمرأة تماماً ؟ قد يكون هذا هو السبب فى اننا صديقان حيان ولكننى أتساءل هل أعد نفسى مسئولة عن ذلك » ثم اردفت قائلة « انك لاتنشى مجالس الرجال قط وحين أجهدك مع النساء لأراكَ تبدى من الاهتمام بمغازلتهم قدر ماتبدى من الاهتمام بإظهار حسنك وبجمالك . لست واثقة ولكن يخيل لى انك لو كنت غريباعنى لما أحببتك »

يومئذ تأذيت لهذا الكلام كثيراً ولكنى لم أدر ماذا يعنى . ألم تقبل انى قريب الشبه منها فلماذا اذن تظهر عدم الاهتمام بى ؟ واذا كنت عبر جيل وأن اكون كالمرأة فلم لم تلتفت الى هذا من قبل ؟

وكأنما أدركت انها اساءت لى بهذا الكلام فمضت تنوسل الى طويلاكى أعفو عنها ، ولكنى لم أستطع أن أنسى كلماتها قط . و كنت بين الحين والآخر أقول لها « ان سيرومتيكوف وميرمانوف قريباً الشبه من الرجال .. أليس كذلك ؟ ثم اليسا حديرين بان يقع جميع النساء فى حبهما ؟ فكانت تبسم وهى تضع يدها الجميلة على فى لاسكافى .

وأصابنى شيئاً من الزهو لذلك ، واستغرقنى الرغبة القوية فى أن أبدوجيلاً لىكى أجذب أنظار الفتيات الى . ولكنى لم أقع فى شرك الغرام قط . صحيح انى شرت بالليل لفتيات كثيرات ولكنى لم أحب احدهن . كنت قنياً حتى ذلك العهد كالقليل من الرجال ، ولكنى فى تفكيرى لم أكن خيراً من غيرى

- ٣ -

لم اكن كثير الاهتمام بالمطالعة الا قبيل الامتحان حين كنت أضطر الى القراءة والاستذكار وبعد الفراغ من الامتحان تحول اهتمامى الى الموسيقى التى كانت وحدها هى التى تستطيع أن تهز

نفسى وتجلى أنسى مالم أكن انساء لولاهـ .

وأخيرا ذهبنا الى موسكو ، وقد كنت جذلا لذلك لأننى أدركت بالبدية ان تغييرا ما لا بد أن يقع .

واقنا فى منزل استأجرناه فى مالايانكتسكايا ، وعشنا معا كصديقين حميمين . وسرعان ما ظهر فى سماء حياتنا أصدقاء جدد واكنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا على توثق مودتنا ، وصرفنى العمل بعض الشيء عن ملازمة أى على الدوام كما كان الحال من قبل .

وفى المعهد لم يكن لى من الاصدقاء غير أستاذى القى كان لايزال شابا حديث السن . وقد قال اننى غريب الاطوار ولكن المستقبل امامى يشر بالخير والازدهار ، ولم يستطع أن يفهمنى تمام الفهم الا حين جاء معى الى المنزل وقدمته الى أمى . فقد كان من المستحيل أن يفهمنى وأحدنا بعيد عن الآخر ؛ وكان ينبغي أن يكون مما لكون وحدة كاملة .

وذات يوم قال لى أستاذى « أحببها الشاب : يجب أن تعمل وتجد . شىء مايجب أن لا يخرج عنك والافترى فضلك ضالعا » .

فكانت هذه الكلمة حافزا الى على مصداقة الجهد والاستغراق فى العمل حتى نسبت الكسل والحول وأهملت العناية بشعرى وملابسى وانقطعت عن الخروج من المنزل إلا قليلا ولطالما كنت أحب التطلع الى السماء الزرقاء والأرض والازهار التى لم أكن أحب سواها . وكانت أمى تعزبنى كثيرا ولكنى كنت أشعر اننا فى هذه الناحية مختلفين جد الاخلاف ، فانهسا لم تكن تهتم حتى بالعناية بحديثتنا وكانت تفضل السير فى الطرقات عن التجوال فيها وتقول ان أشعة الشمس اكثر تهدئة للأعصاب داخل المنزل منها خارجه وان عطورها الخاصة خير من روائح الربيع .

عندما كنت أذكر هذا فى فترات عارصة كان يخيل لى انها لم تعد صغيرة بعد واننا لا يمكن أن نبقى صديقين كما كنا .. كان هناك حجاب مايفصل بيننا .. ولكنها كانت فترات عارضة وحسب . لقد قات اننى لم أكن ذا أصدقاء . واعنى بذلك الاصدقاء الحميمين ، ولكن كان لى معارف

كثيرون وكنا نخرج فى رحلات صاحبة لبعض المناسبات أقضى فيها الليل خارج المنزل وكانت أمى تسألنى فى استطلاع وفضول ولكنها لم توجه الى كلمة عتاب قط . وقد ضابقتى

هذا فكنت أقص عليها التفاصيل بشيء من الاستمزاز والكبرياء وكانت تعقب بقولها « هذا أمر لا يهم يفلوريا .. لقد كنت واثقة من أنه وشيك الحصول ولكن ينبغي الاتساق . أنفهم ؟ ينبغي أن يكون لي المقام الأول عندك كما ان لك المقام الاول عندى . أنفهم ؟ من المستحيل أن نحيا على غير هذه الحال . أنفهم ؟

فكنت انشم واحوطها بذراعى وانا أقول لنفسى : من عساه يمكن أن يحتل المقام الاول عندى سواها ؟ ان هذا من المستحيلات

- ٤ -

ومرت على ذلك سنوات وانتهت دراسى فى المعهد ثم عملت بعد ذلك فى بعض الفرق ولكنى لم أكن سعيدا لأننى لم أجد ما يشبع طمأ نفسى فى تلك الاعياد الصاخبة التى كانت أصابعى تتحرك فيها على الأوتار بما يحمل الى عارسات النشاء والأعجاب : وكثيرا ما كنت أفكر متى سأستطيع ان أعرف أغنية طالما سمعتها وعصانى ترددها . يوم أوفق الى ذلك سيتغير كل شيء فى حياتى وسأشعر بنفس الانفعالات التى تحيى بها صدور المستمعين الى . سنسكى معا لان الاغنية ستنفذ الى أعماقنا وتهز مشاعرنا . نعم سنسكى معاً ... وبعده ذلك ... ليس يعنى ماذا سيكون من الامر بعدئذ ... حتى الموت لن يعنى . لقد كنت واثقا من أنه لن يحدث شيء ما طالما أن نفسى لم يجر كها أنفعال قوى وكنت اوقن أنه لو جاءنى هذا الشيء الذى يصيب الناس جميعا لاستطعت أن « أتحدث » اليهم ... فان العزف فى هذه الحالة يصير نوعا من الحديث العقل

وقد اضطرت أمى الى العودة الى منزلنا مرتين تركتني فى خلالها بضعة أسابيع فاصبت بصدمة اضاعت منى القدرة على العمل واقتدتنى شهية الطعام وأحاطتنى بتوع من الفرع المروع خلت معه أننى أحيا فى هذه الدنيا المترامية الاطراف وحيدا ، وشعرت كأنما أمى ليست معى يومئذ وكأنما لم تكن معى يوما ما قط . ولعل هذا الخطر الاخير هو الذى ضاعف من فزعى ، فقد حسبت أنه يعنى أنها لن تكون معى بعد ذلك على الاطلاق .

لم ربطتنى اليها فى هذه الصلة المحكمة بحيث جعلت الحياة دونها أمرا مستحيلا ؟ من اللغو أن

يقال اننى كنت أحبها فانا لا أحب الهواء والطعام ومع ذلك لا أستطيع الحياة دونها ... اننى شخص ضعيف ... بلغ الغاية من الضعف ... وليس عندى من القوة ما يعينى على بذل أى جهد للتخفيف من وطأة هذه الآلام التى كانت تقتال نفسى وتناولها بأقى الوان العذاب

وفى العام الماضى بينما كنت لا أزال فى موسكو مرض أبى فاضطرت أمى الى الرحيل قبيل عيد الميلاد وفى الايام الاخيرة من يناير مرضت أنا فاقطعت عن العمل وسافرت وقصبت سنة كاملة بين البطالة والمعطلة . واسكن ماذا يعينى من هذا ؟ هل كنت استطيع العمل بغير أمى ؟ فى مساء وصولى قضيت الليل كله جالسا على مقعد فى مخدعها صامتاً ... كنت أشعر أنها فرحة لوجردى فانها لم تكن تستطيع الحياة بدونى كما لم أكن استطيع الحياة بدونها

— ٥ —

فى الايام اننى قضيتها بمنزلة كنت أمضى الساعات الطوال فى المرف وكنت لى غرفة خاصة بها نافذة صغيرة تواجه الحديقة فرسعت الباب الى حبتها حتى أستطيع النظر الى السماء والاشجار وأنا أعرف .

وفى أواسط فبراير بدأ الجو يذفاً فكنت أسير فى الحديقة وأحلق فى السماء الزرقاء التى تظهر من خلال فروع اشجار التفاح والكريز . وبدأت التلال البعيدة تكتسى بلون اصفر ... اصفر لا أخضر . من البرسيم الثابت فيها ، فان البرسيم فى اول عهده بالظهور يكون من التضارة بحيث يبدو ذا لون اصفر . وكنت أحب زهرته الصغيرة الدقيقة . لم أأمى لم تخرجى الى الحديقة لنسیر معاً فيها ؟ ولم لم تحبى ما كنت أحب ؟ لقد شعرت يومئذ بسحابة باردة تحوم حول قلبي وتفصلنى عنها .

وكما تقدم الربيع ردت احساساً بالسعادة وأطلت من الجلوس فى الحديقة وقوى شعورى بأننى أتم مع أزهارها . وتركت موسيقاى الى حين لآتنى شمرت بشىء يتحرك فى أعماق نفسى . شىء أبهى وأجمل من الموسيقى . لقد بحثت عنه طويلاً ولكننى لم استطع الوصول اليه ... كان قريامنى وكنت أحس وجوده فى أصوات الربيع وعطوره ... ولكن ما أبغته عنى الآن !

و ذات يوم كنت جالسا في مقعد منخفض في نهاية طريق ضيق رطب الى جانب سياج الحديقة ، ولم يكن يضيرني ان لها هذا السياج الذي يحدها عن الامتداد الى ما لا نهاية لاننى كنت أرى الاشجار حيث اجلت البصر وكنت أرى الحشائش والارض والسماء في كل مكان . فلن يعننى بعد ذلك ان تكون هذه الاشجار ملكا لى أو ملكا لسواى ، وحسبها أنها تدخل السرور على نفسى لاشعر بلها لى . بل لقد كنت اشعر ان تلك الدلال المترحة ذات الظلال الزرقاء الداكنة في مرعى الاقنق البعيد لى ايضا .

وكانت الشمس تميل الى الغروب واشعتها تفقد حرارتها تدريجيا فشعرت باننى ينبغي ان اعود الى المنزل ولكننى لم استطع الحراك . وفجأة احسست بان شخصا ما قادم نحوى من الخلف فى خفة لم اكده اسمع معها حركته ، فاحلت النظر حولى وادركت ان القادم يسير فى الحديقة المجاورة . وكنت استطيع ان انهض لارى من عشاء يكون ولكنى قلت لنفسى «وماد يعينى من امره .. لكن هو من يكون فانه لا يستحق مشتة القيام» . وكان هوذا الربيع قد انهكى فكنت احس باشد الحاجة الى اغفاء قصيرة فى هذا الجو من سكون المطلق .

وانقطع الصوت ثم عاد مرة اخرى ثم انقطع . ودمعت عيني ورأيت وحما يتنرس فى بصرامة وغضب ثم يبرود وعسدم اكثرث ، ورأيت فى الجباب الآخر من السياج فتاة لا اعرفها . نظرت كلانا الى الآخر برهة وهو صامت . وحسب انها ستمضى فى طريقها على التو ولكنها تكلمت فقالت «اسعدت مساء . لقد رأيتك هنا مرارا كثيرة فلم تجلس فى هذا المكان دائما ؟» فاجبت فى خجل وكأنا كنت اعتذر «لانى احبه .. ولكنى لم ارك قط» «لانى كنت اراك من بعيد .. انى اقيم فى هذا المنزل» ثم اشارت الى منزل تكاد الاشجار تحجبه عن العيان .

وعندما حركت ذراعها لاحظت لأول مرة ان ملابسها غريبة .. تختلف عن الملابس التى ترتديها الفتيات العاديات . وقد خلتها فى اول الامر ذاهبة الى احلى الحفلات التنكرية ولكن الواقع ان ملابسها تستلفت النظر ببساطتها فقد كانت ترتدى جلبابا فضفاضا من قماش ابيض ذا حزام احمر وذيل طويل واكمام تكاد تغطى اصابعها .

وسألتها «لم ترتدين هذا الثوب الغريب ؟»

فلم يد عليها أنها دهشت لهذا السؤال واحابت قائلة «لأنه يريحني . وطالما لا يراى احد فأتى احب ان ارتدى ما اشاء»

« أنه على اى حال يجبني . ما اسمك ؟»

«مارتا» «مارتا ؟ الست روسية ؟»

«طبعاً ، واسم الاسرة كورينيا .. وأنا اقيم هنا مع امي . ألم تسمع عنها ؟ مدام كورينيا المليونيرة الثرية»

فذكرت على الفور اني سمعت شيئاً عن مدام كورينيا المليونيرة الثرية وابنتها الصغيرة التي كانت منصرفه الى دروسها ومنقطعة عن الخرج .

واجبتُها في ببطء وتثاقل «سم سمعت . من المريب ان تكون حبيراً ثم تكون هذه هي مقاتلتنا الاولى»

فقال مسرعة «اننى لا احب الخروج . يقهر انك دهشت لاسم مارتا . ان اسى الحقيقى هو مارتا . ولكنى احب ان اناذى تارنا لانه اسم جميل .»

وقلت في تمكير كأننا اخاطب نفسى «انت جميلة جدا»

فقلت في بساطة «اصحیح هذا ؟ يخال لى أنه صحيح وان كان بعض الناس يقولون انى لست جميلة واعتقد ان هؤلاء يفهمون .»

لم يثر هذا الحديث شيئاً من الدهشة الى نفسى لاننى لم استطيع ان ادرك ان مارتا فتاة وان عبارتى لها مديح واطراء . ولكنى كنت اراها جميلة كالسما الذى تبدو من خلال الاشجار وكانسم اهادى . العايل كالسحاب الاحمر الخفيف الذى يحوط قرص الشمس وهو موشك على الغروب كنت اراها متناسقة مع كل ظواهر الساعة . ولم تكن بى رغبة خاصة الى الحديث او الى الدهشة ولكنى كنت اريد ان استمتع باللحظة التي انا فيها الى آخر حدود الاستمتاع .

وامتد بيننا صمت قصير قطعته بقولها « اسعدت مساءً» ثم اردفت قائلة فى شيء من الكبرياء المنحسوب بالتلطف «ويمكنك ان تحضر الى هذا المكان»

ثم سارت فسمعت مرة أخرى خفيف ثوبها على الأرض . لم تدعثنى كلماتها لأن خواطرها كانت هي عين مايجول بخاطري . ان المرء ليجب قطع من الامور القريبة عليه الخارجة عنه ، اما الامور التي يعرفها ويمسها فليست تدعو الى الدهشة والعجب .

لبثت بقية المساء في حالة غريبة ، حاولت أن أعرف ولكن صوت البيانو اتارني . وذهبت لالتي تحية المساء على أمي ولكني لم أذكرها حرفا ما حدث . ولأول مرة في حياتي لم توحططورها الى نفسي رائحة الربيع الحقيقي .

— ٦ —

لم أذهب الى الحديقة منذ يومين

ولم اكن أعلم مم كنت أخاف . لمي خذمت الان تكون المقابلة التالية في بهجة الاولى فردت أن احتفظ بذكرها صافية غير مشوية . وقد لاحظت أمي مرارا متعددة شحوب وجهي وانصرافي عن العزف . وكان أبي لايزال ملازما العرائش فندمات أمي الى العناية به من الاهتمام بأمري .

«ماذا بك يا فولوريا ؟ أخرج الى التزهة معاً الليلة»

فكانت اجابتي متراخية وتهربت منها بالقول انني لا أحب السير في الطرقات

وفي اليوم الثالث انتهيت الى رأى شأن ذوى الارادة الضعيفة فارتديت قمعي مسرعاً وذهبت الى الحديقة وأنا أعترزم أمراً .

ولم اكده أجلس حتى سمعت صوت الخفيف ورأيت مارتا عند السياج .

بادرتني بالتحية قائلة « أسعدت مساء »

فنهضت واقتربت منها . كانت ترتدى نفس الجلباب ، غير أن الحزام كان ذا لون ذهبي بدلا من اللون الاحمر .

واردفت قائلة « لم تأت ؟ . ألم أقل أنه يمكنك الحضور . ومع ذلك فانا أعلم السبب في تخلفك »

«وما هو ؟ »

« هذا لا يهم كثيرا .. ولكني أعرف »

أكانت أشعة الشمس انني انحدرت عليها أم كان وحى خيالي هو الذي جعلني أرى رداها مشريا

بحمرة خفيفة كذلك التي تراها في رهر التفاح ؟

كان لما رأت وجه عجب لا أستطيع أن أصفه تماما ، وقصارى ما أستطيع أن أقوله عنه انه كان خاليا من أى خضاء أو غموض . وقد خيل الى أن شعرها الذى كان معقودا من الخلف فى عقدة واحدة قد اختلط بسواد الجلو المحيط به . وكان وجهها مستديرا وشاحبا ودقيقا ، وكانت عيناها شفافتين كاللؤلؤ النقى ولكنى لا أستطيع أن أذكر لونها وان كنت اخاله أقرب الى السواد

اننى أذكر كل وحدة من ملامح وجهها على حدة : جبينها المستقيم وشفتيها المراوون المضغوطين .. ، ولكنى لا أستطيع أن أذكر تفاصيل الوجه عموماً .

وقالت مارتا : « اننى أعرف أين تقرب الشمس كل يوم .. فان هذه هى أيامى .. أيامى .. » ثم تابعت حديثها قائلة « أريد أن تعرف ماذا سيصيب الحديقة من التغيير فى الغد ؟ أريد أن أقول لك فى أى يوم ستزدهر أشجار التفاح ؟ »

« وانى لك معرفة هذا ؟ »

« اننى أستطيع أن أعرف كل شئ عن الحديقة وعن الربيع وعن الشمس وعن الازهار لأننى أحبها جميعا »

والواقع انى شعرت بل ايقنت انها تعرف كل شئ ما تقول

« بم نظن أن شجرة الصنم التى تراها هناك تشعر الآن »

« تشعر بالفرح » « وأى فرح ! »

« نفس الفرح الذى تشعرين به أنت وأشعر به أنا .. الفرح من الشمس »

« نعم اننا جميعا نفرح بهذا .. جميعا »

ثم أضافت بعد فترة « فى بعض الاحيان أسمعك تعرف .. وأنا أحب أن أسمع العزف من هذا المكان لانه يفقد خشوعه »

فذكرت على التو اننى كنت أسمع صوت البياض خشنا فى الايام الاخيرة .

ومصت مارتا فى حديثها قائلة « انك لن تنضبمنى ولكنك فى بعض الاحيان تعرف أحوارا

صعبة متنوعة النغم ، وليس هذا ما يوافقك . ينبغى أن تنصرف عما يراه الناس وتصنعى هنا ، ثم أشاحت

يدها في الهواء وهي تقول « هنا حيث تنسجم الحياة مع طبيعتك »
 ووقفت عن الحديث كأنها تجد شيئاً من العسر في ابضاح ما تعنيه . ولكنني بطبيعة الحال
 ادركت كل شيء على الفور .
 وقلت « لقد كنت على هذا الرأي دائماً ويسرنى أمك تشاطرني إياه . لا بد ان يكون
 صائباً إذن » .

« ألا تستطيع ان تعزف شيئاً أقل سرعة وأكثر سهولة ؟ لقد سمعت ذات يوم أغنية تمرقها
 إحدى الفرق ولكن بغير الطريقة التي أحبها . انها تبدأ « لا كلام يا صديقي ولا تنهد » لست أعرف
 الغناء ولكنني سأغنيها لك لأدلك على طريقتهما » .

وبدأت في الغناء كأنها تتحدث ، وكان صوتها ناعماً حتى انني ظلت منها أن تعيدها مرة أخرى
 وقالت حتى كأنها تدعو حبيبها ولكنني لا أفهم معناها حتى الآن . »

ثم قالت مرة أخرى « ن هذه هي أبيي ... فاذا مضى ربيع . »

ثم تهجد صوتها . وخاتمة حصر لي اني لم أرها نتسم قط فقلت لها « ألا تبسمين قط يا مارنا ؟ »
 فأحابت بشيء من الكتابة « ان الشمس تغيب الآن وأنا أضحك في الصباح فقط » .

انني لا أذكر الان وأنا جالس في منزلي بمدينة بتروغراد اتذكر كلمات ذلك الحادث
 فلخاله لم يقع قط ولا أراه خليفاً ان يقع . أكن حلماً من الاحلام ؟ كلا ، لم يكن حلماً لان ما أعقبه بعد
 ذلك لم يكن حلماً وإنما كان حقيقة مرة مروعة ادفع حياتي في سبيلها .

في ذلك المساء بعد لقائي الثاني لمارنا آويت الى غرفتي وأطفاأت المشاعل وفتحت النافذة
 وجلست الى البيانو . حاولت أن اذكر نغمة الاغنية التي غنتها مارنا ... كانت نغمة حلوة هادئة
 سهلة جعلت اعبيدها المرة بعد الاخرى . ولست أدري ماذا دهاني ولكنني كنت أحس بشعور
 غريب يملأ نفسي فتركت البيانو وتوجهت الى النافذة اطل منها ، ثم فتحت الباب على غير وعي مني
 وهبطت الدرج المظلم فاذا بي أجده نفسي في الحديقة .

كان ضوء الحديقة أشد من ضوء الغرفة وكان بها ضباب خفيف ، وكان القمر الجديد قد
 غرب فلم يبق في صفحة السماء غير النجوم

وفي نهاية الطريق استطعت أن ألمح ثوب مارنا الأبيض فقد كنت واثقا من أنها هناك.. تعني
وهست عندما اقتربت منها قائلة « لا تتكلم بصوت مرتفع.. لقد كنت اترقب
حضورك الآن.. اريد أن أطلب منك شيئا واحدا لا تأت الى الحديقة غدا ولكن تعالى بعد غدا
عند غروب الشمس وتأهب لجلسة طويلة.. بعد غدا تكون براعم التفاح قد نضجت واوشكت على
الازدهار.. سراها وهي تزهر... سراها... ستحضر... أليس كذلك »

فهست قائلا « أجل سأحضر »
فهزت رأسها ارتياحا وسارت واخفت بين الظلام والاشجار
وبقيت أنا حيث كنت وحيدا

- ٧ -

في اليوم التالي صحت متأخرا وذهبت كسل وشاؤقل الى عرفة المائدة لاناوول قهوة الصباح
وقد بقيت اليوم طوله انتقل من غرفة الى غرفة حوب أن تكون تندي أى رغبة للقيام بعمل ما..
وتحاشيت النزول الى الحديقة كما طلبت مارنا منى .

وكنت أشعر برغبة قوية في التوجه الى أمي والجلوس بجانبها في صمت... فقد كان يعتريني
شيء من القلق يومئذ - كأنني قدت شيئا، ولعل هذا راجع الى اني لم أر أمي كثيرا في تلك الاثناء
ولم يكن في عزمي ان اطلما على شيء مما مر بي فقد كان الامر كله يتعلق بالحديقة وهي لم تكن تجبها
او تمنى بها - ولكن أمي كانت لازمة لي كنعمتي - لم ادرك الا يومئذ انها لم تكن تشعر كما اشعر ولم
تكن تحس بنفس الأمور التي أحس بها . ترى لماذا خدعتني هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا انشأتني
بحيث لا استطيع الحياة دونها ؟

وجلست الى امشاء شاحب اللون منهوك القوى فاقد الشبية - وشعرت بعينين تحدقان النظير
الى فتلفت واذا بي أرى امي تصوب الى بعينها السوداءوين نظرة اجتمع فيها من الغضب والكراهة
ما جعلني ارتعد خوفا وفزعاً - أ كنت في حلم ؟ ا كان هذا من نسج الخيال ؟ لقد خلت كأن
حملا ثقيلا يجم فوق صدري حينذاك ثم خلت كأن حصى ينكس ويتضامل

نهضت على التو وذهبت الى مخدع أمي ولكنها لم تكن هناك ، فانتظرت لاني كنت واثقا من حضورها وجاءت ولكنها لم تنظر الى بل جلست في مقعد كبير في صمت مطبق . ولبثت أما أيضا في صمتي اتعذب

واخيرا قالت : « أنى أعرف كل شيء يا فولوريا »

وشعرت بقليل من الراحة عندما سمعت صوتها ولكنها لم استطع فهم كلماتها فقلت بشيء من الجهد « ماذا ؟ »

قالت « انا أعرف كل شيء . انت تحب . يقول بعض الناس أن هذا أمر لا محيص أن يقع ولكنه بالنسبة لك مستحيل . لن يكون لامي لن اسمح به . لقد حاولت جهدي ولن أدعك تفلت مني » .

كان موقفي من هذه الثورة الخنوية موقف اليأس المطلق . لقد أخافني غضبها ولكنها لم أشعر بشيء من الشفقة عليها .

وأخيرا قلت « ماذا تصدين ؟ اسي لا أستطيع أن أفهمك »

فهدأت قليلا وقالت « انت تحب مارتا كور بيغا وأعلم أنك تقابلها في الحديقة ، وقد أذهلتك هذه الحالة عن امرك فهل تريد أن تزوجها . لا بد لي اذن من ان اخبرك ان الفتاة التي وقع اختيارك عليها فتاة شاذة فاسدة منذ الطفولة ، وهي اما أن تكون مجنونة او على قدر كبير من المهارة فاحذر . كان ينبغي أن تطلعي على هذا الامر ولكنها علمته برغم اخفائه عني »

كانت افكارى في حالة اضطراب شديد ، وعصاني لسانى فلم استطع النطق ، أنا أحب مارتا ! هذا مستحيل . وأنا أريد الزواج منها ! انا أنزوج ايجب أن يكون أحدا مجنونا أو لعنا جميعا فوو جنة . اخذت اهذى بضع كلمات مضطربة وانا لا أكاد ادري ماذا اقول . . تحدثت عن الحديقة وعن الربيع وعن اشجار التفاح وعن مارتا فقلت أنها حديقة حية بالنسبة لي وعن الجو والريح . وفي يأسى أدركت أن أمي لن تستطيع ان تفهمنى الا اذا شعرت بمثلي ما أشعر به

ثم بدأ يتخللني خوف غريب ناتج من الاحساس بالوحدة ، فقد شعرت في تلك اللحظة ان أمي هجرتني وأنها تكرهني وانى لا أستطيع أن احيا وحيداً . ولم أكن لارتدد عن الكذب

لو أستطعته أو أنه كان يفيدنى ، ولكنى لم أكذب من قبل قط . ولعل أمتى أدركت مقدار ما أؤسسه من الألم والعذاب قالت « ارى انك لم تنتظر شيئا من هذا كله ولكن يجب أن تذكر يافولوريا ان العلاقة بيننا ليس من شأنها أن تجعلنى أضع منك موقفا سلبيا . لقد اعطيتك حياتى كلها فيجب أن تعطينى حياتك أيضا . حياتك كلها . هذا ما قصدت اليه : لم أترك قط وجعلتك نفسى ولنفسى . قد أكون مخطئة فى هذا العمل ولكن هذا يعينى . أنه حق وعدل . كما انى لا أستطيع لتضحية بذاتى الآن . ومها يكن من حبك لزوجتك أو عشيقتك ومها يكن من حبها لك فانت لن تستطيع الحياة دونى .

قالت هذه الكلمات ثم نهضت فاقتربت منها واحطتها بذراعى واحدقت النظر فى عينيها ثم قلت لها « حسبك هذا العذاب . فانا اعلم انى ملك لك وانى لا استطيع الحياة بدونك ، وانا لا اريد ان اتزوج لانى لا أحب احدا .. لا استطيع .. لم أفهم .. انها الحديقة والازهار التى تعينى .. والموسيقى .. عذولك ومضالك »

فضمتنى اليها وهى تقول « يجب أن تمدنى الى الحديقة أو ترى مارنا مرة أخرى . أنك لم تحبها بعد ولكن ... لا تقاطعى ... أن أشعر بان هذا مستحيل ... انت ضعيف الإرادة يا عزيزى بحيث لا تستطيع أن تحفظ عهدك ... فاحفظه اليوم واحد قط ... لقد ... وبعد عد فى الصباح المبكر سرحل »

لقد .. غدا ستردهو براعم التفاح !

« مالك لا تكلم ؟ الا تريد ان تمدنى حتى بهذا ؟ »

ثم عقدت حاجبيها .

ودعتها ثم انفجرت با كيا منتحبا ... لقد كنت أحب الازهار وهأنذا سأخلى عنها لاجلها وكنت أشعر — وان كنت لا ادرى لماذا — أنه من المستحيل على بعد ذلك أن أذهب .

بدأنا تتأهب للرحيل منذ الصباح . وكنت ابى لا يزال مريضا ولا غنى له عن عناية المربية

فقامت أمي بالمهمة كلها - أما أنا فقد كنت كالأموات وجلست طول اليوم مغمض العينين - وقد اقترحت اشعة الشمس غرفتي من النافذة وغمرتني بدفقتها ولكني ارتعدت منها فقممت الى «الشيش» واغلقته لأنها لم تعد شمسا بعد

ومرت الساعات وكان الألم الذي يحز في نفسي الما ثقيلًا متصلاً، وكان على أن احتمله مادمت لا أملك القدرة على الاختيار أو العزم
وعند الغروب اردت الى أذهب الى أمي لكي تضمني إليها فأغضض بين ذراعيها عيني وأقعد الاحساس بالوقت -

ودهبت الى غرفة الاستقبال ونظرت من النافذة - كان قرص الشمس لا يزال كبيراً ومستديراً ومتوهجاً ويميل الى الانحدار وراء الأفق ... لم احتمل رؤية هذا المظفر فأسرعت أعدو الى غرفة أمي على أقدامها ولكنها لم تكن هناك - وفي الممر الخارجي قابلت إحدى الخادومات وسألتها عنها فقالت : لقد خرجت المدام لتعد عربة لرحلة الغد وطالت ميني أن أبغلك ياسيدي بأنها ستذهب بعد ذلك الى أسرة بولوتسكي .. وستأخر في العودة - وذا وحطت نفسك في حالة حنة تسمح بالحروج فهي تريدك أن تلحق بها هناك في الساعة التاسعة ... والا فانها تريدك أن تذهب الى النوم مبكراً ..

لم استطع الانتظار حتى تفرغ الخادمة من رسالتها .. كان هذا أكثر مما يسمعه الاحتمال وكنت في تلك اللحظة حائراً بين عهدي لامي وبين رغبتى في الذهاب الى الحديقة لكي استمتع بالربيع واستمع الى اشجار التناح في نجاها - وانا دائماً اذعن بغير مقاومة لما هو اقوى مني ، ولذلك فليس عجباً ان يحدث ما لا يد انه واقع يوماً ما - نظرت الى قرص الشمس مرة اخرى بابتسامه ذابلة ، وبدون تردد او نظر الى الخلف اسرعت الى الحديقة -

- ٩ -

بعد ان اغلقت الباب خلفي وسرت بضع خطوات بين الاشجار عدت الى نفسي فجأة ونسيت كل شيء - وكل لحظة مرت بعد ذلك زادت من ارتياحي وضاعت سرورى - فقد خلت نفسي

اسير بين اصدقائي وخجلت اذ تذكرت اني تخليت عنهم هذه المدة الطويلة - وتنبهت فجأة فلذا بي
اجد نفسي في نهاية الطريق

كانت مارنا هناك على المقعد لا في الجانب الآخر من السياج كما اعتادت ان تكون - وكانت
جالسة ويديها مطبقتين على ركبتيها وهي تصوب الى نظرة حادة -

قلت «انا آسف يامارتا ، لقد غربت الشمس»

«لم تغرب بعد ، انها وراء التل لا وراء الافق»

جاءت الى جانبيها وكانت اكثر شحوبا من المعتاد - وثوبها .. لن اخطئه هذه المرة لم يكن
ابيض اللون كما كنت اخاله بل كان مشوبا بحمرة خفيفة -

وقالت مارتا «يجب ان تنتظر .. ستزدهر اليلة .. تستطيع ان تلاحظ شدة بياض القمر ؟ انه
يظهر كحجابه صغيرة ولكنه حين يزيد لمعا ويزنم في الجو» -

وسألته قائلا «ما الذي يحدث مثل هذا يامارتا ؟ .. اني اخالك واحدة منها»

«وانت ايضا ؟ اننى واتقه من ذلك - وهذا هو اسبب في اننى مسرورة من وجودك معى - -

وهو السبب ايضا في اننى احبك»

قلت «وانا ايضا احبك يامارتا .. احبك كما احب الحديقة .. ككل شىء»

فاصادت عبارتى الاخيرة بنغمة حزينة «نعم - ككل شىء»

ومرت فترة الظلام ثم ارسل القمر اشعه الباهته على الطريق في تردد وخجل واشتدت الراححة
المنبعثة من الارض ورسمت اشجار التفاح ظلها بوضوح عليها ، وبدأ كل شىء يبدو كأنه يتمم
ويتحرك بعد ان ظل ساكنا صامتا حتى تلك اللحظة ، وخلت ان ضبابا خفيفا قد غشى ضوء القمر
وهو يرتفع في السماء -

واتابنى شعور قوى من الخوف فلبثت اترقب وانا سابح في تأملاتى - ولم تنظر مارتا الى وكان
جسمها يشعر بالبرودة -

وتحركت نحوى قليلا - ووجدت نفسى احوطها بذراعى دون ان ادري ، ولعلى فعلت هذا
لجرد رغبتى في ان اكون قريبا منها -

وقالت وهي تضع يدها البيضاء في يدي «لنحتفظ بالهدوء المطلق ولنبتعد عن الهياج .. لننتظر في سكوت تام فبغير سكينه القلب لا نستطيع ان نكون قريبا منها»
وأدركت انها تعنى الطبيعة

وأردفت بسرعة وهي تنظر في عيني «ويجب ان نكون قريبين على الدوام .. انت وانا معا»
لم اشعر قط بأنى «معا» كما شعرت تلك اللحظة .. وكانت هي السعادة بعينها لو انها ندوم ..
ثم شممت رائحة خفيفة جديدة .. احسناها معا وأدركنا في لحظة من اين جاءت
وقالت مارتا «ان البرعة الاولى قد فتحت .. لا تنتظر اليها الان بل انتظر حتى يفتح غيرها»
وكان حديثها هسا فضممتها الى وادعت ان اتكلم ولكها تتممت قائلة «ولا كلمة» .. فسكت ،
وسرني هذا السكوت .. لم ارد شيئا أكثر من هذا .. انه كان السعادة بعينها ..

ثم جاءت رائحة جديدة .. رائحة قوية ملأ غيرها ارجاء الحديقة .. وهبط القمر وآذن بالزوال ..
ولكن اشجار التفاح بقيت على نورها
وفي اللحظة التي بدا فيها كل ماحولنا واضحا وابشق الفجر نظرت الى وجه مارتا .. كانت
جالسة كما كانت منذ بدأنا وقد احتضنتها الى .. رفعت عينيها بحوى وقالت «لقد أزف الوقت ..
ستشرق الشمس عما قليل وستزدهر أشجار التفاح»
وأحسست بضربة موجعة تصيب قلبي .. لقد ذكرت كل شيء فرانى الشحوب وبدأ على
الخوف والارتياح .

ونظرت مارتا الى في قلق وهي تقول «ماذا بك ؟»

قلت «لست سعيدا يا مارتا .. رحماك .. يجب أن اذهب»

فقال في بطل دون أن تبدو عليها الدهشة «أذهب ؟ الآن ؟ انتظر قليلا .. لا داعي للعجلة ..
انتظر حتى تبدأ الأزهار في السقوط»

«لا أستطيع .. لا أستطيع ... لست أنا ولكنهم يريدونى»

فقالته بهدوء «يريدك آخرون ؟ ان هؤلاء الآخرين يفسدون كل شيء دائما .. لا تكن شقيا
اذهب وان كنت لا تريدك أن ترحل الآن»

فطارت الى عينيها في بأس : .. كنا متفرجين وفيها هدوء ولكنها مغرورقتان بالسموع -
لو انها حركتهما لتساقط الدمع منها -

ونفضت انا ولكنها ظلت حالة حيث هي دون أن تنظر الى

« الى اللقاء » « الى اللقاء ... لا تنسى »

« أنسى ماذا ؟ » « كل شيء .. اننا نعرف الآن كيف نعيش »

« والآخرون يا مارتا »

« نعم الآخرون .. ولكن الا تقدر ؟ ألا تستطيع ؟ ولكنك لن تنسى .. لن تنسى ، اليس كذلك ؟

نظرت اليها .. ثم الى السماء وقد ظهرت تماما الآن .. ثم الى أشجار التفاح وقد بدت كأنها

يفطبها زغب الثلج

قلت : لن أنسى يا مارتا ... والى اللقاء ...

فهرزت رأسها وسرت أما في طريق

- ١١ -

ماحدث بعد ذلك سأرويهِ بالتقصير لأن ذكره بالتفصيل يؤلمى أشد الألم . أرادت أمي أن
تتأثر لنفسها .. وأحترق لقد بدا عليها التعب والهزال والشحوب في تلك الليلة ولكن ذلك أعزوه
— في بقيني — الى الكراهة الشديدة التي فاضت نفسها بها تحوى . كنت أعلم أنها لن تصفح عني
لأنها لن تستطيع الصفح فلم أتحدث اليها بكلمة واحدة وبدوت كأتى من الاموات . أمرتني أن
أسافر وحدي وقالت انها لن تغفر لى أو ترانى بعد الآن ابدا . ولا بد أنها كانت تعلم انها لن تستطيع
احتمال هذه الحالة فأثرت الموت حتى لا تنقض كليتها .

لقد رأيت يوم مانت رجلا يقترب منى ويهز يدي في حرارة وهو يعزىنى قائلا : ان أمك كانت
امراة مدهشة .. لا ريب أن موتها قد صدمك وأمالك كثيرا فان علاقتكما كانت من القوة والوثوق .
وانفجرت شفتاى عن ضحكة غير طبيعية وأنا أقول : نعم معك حق . ثم هرزت يد الرجل وغادرته
وبعد انتهاء مراسم الجنازة رحلت ، فلم يبق هناك ما يرعبنى الى المكان أو يبقينى فيه ، كالم
اسأل عن مارتا ولم اذهب الى الحديقة .

كم من السنوات مرت على ذلك الحادث - اننى لا أستطيع تقديرها - فى بعض الأحيان أستعيد الى مخيلتى ذكرى الليلة التى ازهرت فيها براعم التفاح فجلس الى البيانو وأعزف أغنية «لا كلام يا صديقى ولا تنهد» فاشعر بشيء من العزاء.. ولكنها فترات قليلة عارضة - ان حياتى يزداد عبؤها على نفسى مع كل ساعة تمر منها وأنا أعيش لانى لأملك القوة حتى على الموت - اننى أقيم الآن فى بتروغراد فى هذا المنزل الخائى وأعطى دروسا فى الموسيقى ثم أعود الى منزلى بلا هدف أو غرض .. فلى متى ستطول هذه الحياة ؟

يتدلى من سقف احدى الغرف خطاف كبير .. فلم لأربط جبلا اليه ؟ لن يعلم بذلك أحد وخصوصا فى أثناء الليل .. ثم ان فى استطاعتى أن أحله متى شئت .. ولم لا أعقد فيه أشوطة - ان أشق نفسى .. فأننى لا أقدم على هذا العمل لمجرد اننى عقدت أشوطة فى جبل .. ان أشق عمل فطامع .. مروع .. كما أنا بعيد عن مارثا الان ؟ هل صحيح انى سأفعل ؟ كلا .. كلا .. انها تجربة لاغير .. تجربة وحسب
دكتور صبرى حرجس



عظماء التاريخ الثلاثة

بهار ج. ويلز
وترجمة سامر جودجي

يحار العقل البشري في معرفة عظماء التاريخ الذين تزعموه فانتزعوا منه الخلود والبقاء ، ولكن الكاتب الانجليزي الكبير ويلز يسطر انا اسماء هؤلاء العظماء ويحدثنا عنهم حديثا شائقا قد يفتح القاري بما ذهب اليه ، ثم لا يجد محبها من الوقفة امام تلك الشخصية الفذة يعجبها ويحترق أفكارها .

فويلز يقول: قبل ثلاث عشرة سنة سنات لكي اسمي الرجال الستة العظماء في العالم فأجبت على هذا السؤال بلاروية او تعقل . ولكي والنت بعد ذلك ان تكررت لاحابتي السابقة وساءلت نفسي عما اذا كنت متشككا بها متعلقا بهداياها .. وسرعان ما اعتقدت ان ثلاثة منهم احتفظوا بمكانتهم والثلاثة الآخرون فقدوا الثقة وتغير رأيي فيهم .. والحق انه لا يوجد ستة عظماء لنجى على ذكرهم لأن هؤلاء الستة فرضوا حدلا ، ولكن يوجد ثلاثة وثلاثة فقط .

ولما سئلت عن الانسان الذي ترك في العالم اثرا مستديما غلب ظني بان السائل نفسه يعني يسوع الناصري، فهو على ما اعتقد اهم شخصية في تاريخ البشرية وما على المؤرخ الا ان يعالج تاريخ حياته كرجل ولكننا لانعرف عنه كثيرا — كما يجب ان نعرف — ولو ان الانجيل الاربعة تناقض في اعطائها صورة واضحة لشخصية بارزة الا أنها تتوخى اثبات الحقيقة . ومن الصعب جدا ان يتخيل الانسان بانه لم يعيش ابدا وان حياته مخترعة لأنه بهذا يخلق مشاكل امام المؤرخين بدلا من الموافقة على المبادئ الاولية الواردة في قصص الانجيل كحقائق ...

وانا والقاري نعيش في اقطار تضم بين احضانها الملايين من الرجال ، يبدان يسوع اعظم من

رحل. وإذا حاز المؤرخ ان يتقاضى عن تلك الحقيقة وجب عليه ان يتثبت بالدليل الذى يعترض عليه اذا قرئ. كتابه فى كل الامم والامصار .. وانه لساو جدا ان يكون من المتعذر على المؤرخ ان يصف بأمانة تقدم الاسانية ملا غرض لاهوتى وبدون ان يعطى المكانة الاولى للعلم الناصرى الذى لا يملك شيئا .. وقد جرب المؤرخون الرومانيون القدماء يسوع تماما اعتقادا منهم بانه لم يترك تأثيرا يستحق ان يذكره التاريخ فى عصره ، الا انه بعد اكثر من ١٩٠٠ سنة سيجد المؤرخ بان فى اخلاق وحياة هذا الرجل العظيم صورة لا تماند او تقلانى .

وما زلنا نتلص اسباب الجاذبية التى استالت الرجال الذين ابصروه لأول مرة فتركوا كل شيء ونبعوه ، فقد ملاهم محبة وشجاعة وتكلم معهم بالمعرفة والسلطان الذى اعجز الحكماء .. غير أن معلمين آخرين فعلوا كل هذا ايضا الا ان هذه السجاياء لم تعطه تلك المنزلة الرفيعة الدائمة بل جاءت له من جراء الاراء العميقة التى اطلقها والاهتمام **مربوبة الله** واذر الشوفهم ما كوت السموات الذى يعتبر من اعظم تغيرات المستقبل التطورية التى قامت وعبرت تمكيد بنى الانسان ..

وليس فى مكنة البشرية أن نفهم حتى الآن التحدى الرائع الذى وجهه الى المعاهد والخصاعة النوع البشرى الذى لم يعرف أن الدنيا بدأت أن تكون دينا أخرى من اليوم الذى بشر فيه بمذهبه. وكل خطوة بخطوها المرء نحو فهم أوسع أو نحو التسامح والرغبة الطيبة هى خطوة نحو اتجاه الاخاء العالمى الذى نادى به يسوع .. ومقياس المؤرخ لعظمة الفرد هو ماذا ترك وراءه لينمو ؟.. هل بدأ بالناس بالتفكير نحو أساليب جديدة خلقت بعده؟ بهذا القياس يقف يسوع فى المقدمة والصدارة .

وكما أن هذا ما انتصف به يسوع كذلك انتصف ببعضه بوذا الذى أضعه قريبا من المسيح فى الاهمية فانت تجد بكل وضوح رجلا بسيطا .. منزلا يحارب من أجل النور .. رجلا ذا شخصية حية وليست أسطورة .. وانك لو اوجد ايضا رجلا أعطى للبشر رسالة وحيدة من نوعها تضمنت كثيرا من أبعاد أفكارنا الحديثة التى تمت بصلوة وثيقة اليها .. فدل على أن الشقاء والجشع اللذين يسودان الحياة يرجعان الى الامانية التى تأخذ أولا صورة الرغبة فى اشباع الخواص وثانيا صورة الختين الى انخلود وثالثا صورة الرغبة فى السعادة .

وما على الإنسان الذى يريد أن يصبح مخلوقاً أعظم شأنًا إلا أن يكف عن العيش لحواسه أو لنفسه كما كان شأنه قبل أن يصبح مهدياً وصيًا .

وهوذا نادى بالناس الى انكار الذات ٥٠٠ سنة قبل المسيح ، وكان فى بعض أساليبه أقرب إلينا ولحاحاتنا بل كان أكثر وضوحا فى الاهتمام بذاتيتنا فى الخدمة من يسوع وأقل غموضا منه فى توضيح خلود الذات ..

وبلى المسيح فى أهمية تاريخ الذكاء البشرى وهوذا فى تاريخ البشر ارسطوطاليس الذى ابتدع شيئا جديدا هو تصنيف وتحليل المعلومات حتى صار اماما للتوحيد العلمى . وقد عاش قبله كثير من المفكرين ولكن هو الذى علم الناس كيف يكون تفكيرهم مشتركا .. حتى أصبح معلما للاسكندر الاكبر الذى تمكن بفضل مساعدته وتمعيده من ترتيب أسس الدراسة على طريقة وبجالة لم تحاول من قبل .

فى وقت ما كان له نحو ألف رجل منتشرون فى أنحاء آسيا واليونان يجمعون المواد الخام للتاريخ الطبيعى . ولقد أجرى طلبته تحليل وتلخيص ٩٥٨ دستوراً سياسياً حتى ان ارسطوطاليس أصدر على دقة تحليلهم نورا أظهر الحق واصحاحا جليا لما يعتبر خطوة جديدة واسعة نحو تقدم البشرية هؤلاء أسماء عظماء ثلاثة وفى مكتفى أن أضيف اليهم عشرين أو ثلاثين ولكنى أشرح الاسماء الثلاثة المتقدمة .. فانى أقلب أسماء كونفيوش وروبيرت اوين المؤسس الحقيقى للمذهب الاشتراكى وكارل ماركس الذى جعل العالم يفكر فى الحقائق الاقتصادية حتى ولو كان تفكيره معوجا قليلا ثم بعد ذلك ماذا أقول عن هؤلاء الفلكيين الذين فضحوا الكرة الأرضية وازاحوا الستار عنها وقد كانت أفكار الناس محصورة فى محيط ضيق فأصبحت فسيحة طليقة ؟.

وفى هذا الاختيار الذى أخذته أجد ان هوأى الشخصى يقودنى نحو روجر يكون الذى نادى مشددا بضرورة التجربة وجمع المعرفة وتنبأ قبل ستائة سنة عن اختراع السفن والقطارات التى تسير بطرق آلية ، كما تنبأ أيضا عن آلات الطيران وأجبر الناس على التفكير بأساليب جديدة وترك من بعده أثرا خالدا وهو أنه عاش لمنفعة كل الأحيال . هل تريد عظيما امريكيا فى سجل العظماء ؟ انه لنكون ولا أحد سواه . اذ يظهر لى أنه هو وحده الذى له معيرات أمريكا الجوهرية .. وهو الذى

أعطى الفرصة للصي الوضع المثبت عساه يصل الى ذروة المجد بفضل دفاعة عن العدل والمساواة ..
وان بساطته ولين طباعه وتفاؤله العميق حمل على الاعتقاد بان العدل يجب أن يسود وكل هذه
تبدو كأحسن مبادئ. قومتها أمريكا للنوع البشرى .

ولسكن اراء أولئك الثلاثة الذين هم رموز باقية للاخاء . والالهية الوجدانية والخدمة في أنكار
الذات وتوحيد عقليات النوع البشرى لانجد أحدا غيرهم يدانهم في صفاتهم أو يتناول الموقف
بجوارهم ..



نشرنا في عدد نوفمبر الماضي مقالا
تحت عنوان « العلاجات النفسية » وقد
سقط مهوا اسم كاتبه الأستاذ مرقى أمين
فتعذر عن ذلك الخطأ المطبعي

توحيد التقويم واصلاحه

بقلم الاستاذ تقولا يوسف

تعددت التقاويم واختافت التواريخ منذ فجر الحضارة بالنسبة الى تفاوت الامم في الزق ، وتبعا لحاجتها الى نظام حسابي تؤرخ بمقتضاه حوادثها ومواسم زراعتها وحصادها وأعيادها . وبذلك ظهر منذ القدم الى اليوم مئات التواريخ والتقاويم المأثرة معطما وظل بعضها حيا حتى الان ، وفي مقدمة هذه التواريخ التي ما زالت تستخدم لدى الامم التاريخ الميلادي والهجرى والتبطل واليهودي والارمني والفارسي واليهاني وغيرها . .

فتحت اليوم في عام ٥٦٩٨ هجرية و ١٩٣٧ ميلادية و ١٦٥٤ قسوية و ١٣٨٥ أرمنية و ١٣٥٦ هجرية و ١٣٠٥ فارسية وهكذا . .

وكما اختلف الناس في أجناسهم وأديانهم ولغاتهم وعاداتهم وظلوا منذ الخليفة مشتين متناكرين لا يغنون التقرب نحو وحدة عالمية وأخوة عامة ، بل هم لا يرتضون الاتفاق على أنفه المسائل ، تسيطر عليهم العادة ويزيدهم انخوف والجهل والمصالح المادية والسياسية تشبثا بكل قديم موروث فانهم أيضا يأبون الاتفاق في موضوع حسابي اصطلاحي مثل التقويم وتوحيده واصلاحه لاسيما في عصر تشبثك فيه المصالح وتكثر المعاملات الاقتصادية وتزداد الصلات الادبية وتنشط السباحة بين جميع الدول . .

وعلى الارض كثير من الشعوب التي تشبث بتقويمها الحسابي وتضع حوله هالة من القداسة الدينية ، وهي تفصله على سائر التقاويم بلا مناقشة . ومثل هذا التعصب يقف عقبة في سبيل الوحدة.

الانسانية التي يدعو إليها العقلاء . غير أن سنة التطور لا بد أن تسرى كمآذنها على هذه المصطلحات ولا بد أن يأتي اليوم الذي يتفق فيه أهل الأرض على تقويم واحد يسهل على الجميع تبادله واستعماله . وإذا أتينا هنا بموجز عن بعض التواريخ والتقويم التي استعمالها الأمم فإنا لنستدل على كثرتها وتنوعها ، وعلى الحاجة إلى اتفاق دولي على تقويم واحد تفره عصبية الأمم .

وبن لا نعرف الآن متى بدأ الإنسان يستعمل التقويم ولكن المعروف أن دورة الشمس الظاهرية مرة في اليوم ودورة القمر حول الأرض مرة في الشهر قد ساعدتا على خلق تقسيم الزمن واختراع التقاويم . وقد اتخذت بعض الشعوب القديمة من القمر ودورانه مقياسا لسنهم وتقويمهم ولكن الأمم الزراعية لم تستطع الاعتماد على الحساب القمري لأنه لا يتفق مع الفصول كما نرى في الشهور العربية التي تقع في الشتاء تارة وفي الصيف تارة أخرى . وكانت مصر بين هذه الأمم الزراعية التي نبذت السنة القمرية مد الوف السين واهتدت لتقدمها في علم الفلك إلى السنة الشمسية ولعلها أول أمة اهتدت إلى هذا حساب الشمس وضطت عليه مواسمها الزراعية وأوقات الحصاد والفيضان وأيام الأعياد . ولا تزال هذه السنة الشمسية وأسماء الشهور المصرية القديمة مثل توت وهاتور مستعملة في الزيف المصري إلى الآن باسم السنة القديمة .

وكان المصريون القدماء قد لاحظوا أن النجم سيرس يظهر قبل الفجر إبان فيضان النيل فتفاءلوا وانخفوا من يوم ظهوره عيداً لرأس السنة الزراعية . ولما كان هذا النجم يتم دورته مثل الشمس فقد جعلوا سنهم ٣٦٥ يوماً قسموها إلى اثني عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً وكانوا يضيفون خمسة أيام الباقية إلى آخر السنة ثم أدخلوا فيها بعد السنة الكبيسة كل أربع سنوات كما فعل الآن .

ولما غزا الفرس مصر أبقوا العمل بالتقويم المصري وبالاحتفال بعيد رأس السنة ودعوه بلغتهم بالبيروز أي اليوم الجديد . وما يرح المصريون يحملون بهذا التبروز إلى الآن . .

والسنة القبطية هي السنة المصرية القديمة في حسابها وأسماء شهورها ، فكل شهر ثلاثون يوماً يضاف إليها أيام التسيء وهي خمسة أيام للسنة البسيطة وستة للكبيسة . ويبدأ اليوم القبطي كميلادي عند شروق الشمس بينما يبدأ اليوم الهجري والعبري عند غروبها ...

والسنة القبطية الحالية التي بدأت في ١١ سبتمبر الماضى هي عام ١٦٥٤ للشهداء . وكان أقباط مصر حتى عصر دقلديانوس الامبراطور الرومانى يؤرخون بالسنة المصرية القديمة ولكن حدث أن هذا الامبراطور أخذ في عام ٣٠٣ للميلاد يصطهد أقباط مصر ويقتل منهم عشرات الالوف فحصل الاقباط من اليوم الذى ارتقى فيه دقلديانوس هذا عرش الملك وهو ٢٩ اغسطس سنة ٢٨٤ م مبدءاً للتقويم القبطى . .

وفى اول يناير سنة ١٨٧٦ أمر الخديوى اسماعيل باستبدال التاريخ القبطى المستعمل بمصر فى جباية الضرائب وأعمال الحكومة بالتقويم الجريجورى كسائر الدول الاوربية وذلك عقب انشاء المحاكم المختلطة والمراقبة المالية . .

وكان العرب قد حلوا معهم الى مصر انتقويم المجرى المبني على الحساب القمرى فأصبح بمصر إلى اليوم ثلاثة تقاويم ..

أما الاغريق فكانوا يؤرخون بالاولبياد مة إلى الالغاب الاولبة التي كانت تقام فى سهل اولمبيا مرة كل اربع سنين، وكان أول دورى لهدء الالعب فى صيف عام ٧٧٦ ق.م وجعل اكثر المؤرخين أول السنة الاولبية فى أول يوليه وكان كل اولبياد يستغرق سنة شهور فكان يقال مثلاً أن ميلاد المسيح فى الاولبياد المائة والخامس والتسعين . وكان بعض الاغريق يؤرخون أيضا من موت الاسكندر أى سنة ٣٢٥ ق.م ثم بطل هذا التاريخ ، كما بطل التاريخ بالاولبياد بعد أواسط القرن الخامس .

وكان الرومان يتخذون من تاريخ تأسيس رومة مبدءاً لتاريخهم وشاع هذا التاريخ فى كتب مؤرخى الرومان واختلف الباحثون فى مبدء هذا التاريخ ولكن بعضهم فرض أن بناء رومة كان فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٠ ق.م أى مكون الآن فى عام ٢٦٨٧ لتأسيس رومة، وقد زال هذا التاريخ ايضا. وشاع فى بابل تاريخ يبوخذ نصر الذى يبدء من ٢٦ فبراير ٧٤٧ ق.م

وكان اليهود ولايزالون يبدؤون تاريخهم من السنة التي خلق فيها آدم معتدين فى حسابهم على ماجاء بالتوراة من مدد وسنين، فوصلوا إلى نتائج قيل إنها تزيد على مائتى متبجة أقصرها ٣٤٨٣ سنة بين عام الخلق وميلاد المسيح وأطولها ٦٩٨٤ سنة ، أما اليهود المعاصرون فيتبعون الرأى القائل بأن

الخلق وقع سنة ٣٧٦٠ ق.م وعلى ذلك فنحن اليوم في عام ٥٦٩٨ للخلق حسب التقويم الحاضر العبري الذي ذاع منذ خمسة قرون ؛ والسنة العبرية قريه شمسيه ويقع مبدؤها تارة في الخريف وأخرى في الربيع . .

وهناك تقاويم أخرى كانت تبدأ تاريخها من خلق آدم كالتاريخ القسطنطيني الذي استعمل في وسيا حتى عهد بطرس الأكبر ويقع الخلق حسب تقديره سنة ٥٥٠٨ ق.م . وكالتقويم الاسكندري الذي وضعه يوليوس الافريق وجرى عليه مسيحيو الاسكندرية وكان يقدر الخلق بخمسة آلاف وخمسةائة سنة ق.م وكالتاريخ الانطاكي الذي ينقص عن الاسكندري عشر سنوات وهناك التاريخ المقدوني او السلوقي الذي يبدأ من استيلاء سلوقس نيكاتور على بابل عام ٣١١ ق.م واستعمله اليونان وبعض اليهود في الشرق

ويبدأ التاريخ الارمني في ٩ أغسطس ٥٥٢ لميلاد وهو تاريخ افعال الكنيسة الارمنية عن اليونانية . ويبدأ التاريخ الفارسي أو تاريخ يزديجرد في ١٦ يولييه ٦٣٢ م وكان متبعاً في ايران ولا يزال الفرس يؤرخون به في الهند

ومن التواريخ القديمة الأخرى تاريخ صور واسطاكيه والتاريخ الاسباني والاغسطي ؛ غيرها أما التاريخ العربي فيبدأ في ١٦ يولييه ٦٢٢ م وهو عام الهجرة النبوية وعلى ذلك فنحن الآن في سنة ١٣٥٦ هجرية ، وتقويمه قريه تقسم فيه السون الهجرية الى أحوار كل دور منها ٣٠ سنة منها ١٩ كل منها ٣٥٤ يوما والباقي كل منها ٣٥٥ يوما . والحساب القمري لا يتفق مع الفصول إذ تقع شهوره تارة في الصيف وأخرى في الشتاء . .

وتمت تقويمان جديان أولهما تقويم الثورة الفرنسية الذي اعتبرت فيه يوم ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢ وهو اليوم الذي بدأت فيه الجمهورية بدء تاريخ توقيت به الستين وقد قسمت فيه السنة الى اثني عشر شهرا متساوية ، وقسم الشهر إلى ثلاثة أقسام بدلا من أربعة وبدلت أسماء الشهور وجعلت الخمسة الايام الباقية في نهاية السنة أيام عطلة عامة وقد ذهب هذا التقويم بذهاب الثورة . أما ثانيهما فهو التقويم البهائي الذي وضعه الباب المؤسس الأول للبهائية عام ١٨٤٤ وحل السنة البهائية تسعة عشر شهرا في كل شهر ١٩ يوما والسنة ٣٦٠ يوما يضاف إليها أيام التسيء وهي اربعة ايام للسنة البسيطة

وخمسة للكنيسة بين الشهر الثامن عشر والتاسع عشر. وسُميت الشهور بأسماء الصفات الالهية ويبدأ عامها في ٢١ مارس كما كان الحال في السنة الإيرانية القديمة .

أما أشهر التقاويم وأكثرها ذيوياً لآسيا في العالم المتحددين هو التقويم اليوناني الذي أمر بوضعه يوليوس قيصر لتسير عليه الدولة الرومانية وظل مستعملاً حتى جاء البابا غريغوري الثالث عشر فنتقحه وسمى منذ ذلك الحين بالتقويم الغريغوري وهو الذي تتبعه اليوم .

ولكن هذا التقويم الغريغوري في حاجة أيضاً إلى الإصلاح ففيه خطأ مقداره يوم كل ٣٨٦ سنة ، ثم أن شهوره تختلف تارة بين ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ يوماً ، وكذلك أيام الأسبوع لا تطابق أيام الشهر فتقع الأعياد الرسمية تارة في السبت مثلاً وأخرى في الأحد .. وكثيراً ما تنسب هذه الاختلافات فروقا في اجر العمال وعقود المقاولات ونحوها .

وقد شعر العالم في العصر الحاضر بضرورة إصلاح التقويم وتوحيده في كل الدول حتى لا تختلف التواريخ في الكتب والأعياد والمعاملات. وقد ألهمه عصبة الأمم لبحث هذا الموضوع فتقدم إليها عشرات المشروعات. ولكن أكثرية الناس ترى أن تقسم السنة إلى ثلاثة عشر شهراً كل شهر منها ٢٨ يوماً فيكون في كل شهر أربعة أسابيع تتفق أيامها مع أيام الشهر وعلى ذلك يكون عدد أيام السنة ٣٩٤ يوماً وبعد اليوم الزائد بها وكذا اليوم المضاف إلى السنة الكنيسة عيدين لجميع الأمم

ثم هناك مسألة الاختلاف في الأعياد المسيحية فإن مسيحيي العالم يحتفلون مثلاً بعيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر بينما يحتفل به أقباط مصر وبعض الطوائف الشرقية في ٧ يناير وكذا الحال في عيد الفصح وفي أعياد أخرى وهذا الاختلاف قائم على اختلاف التقاويم التي لا بد من توحيدها وإصلاحها على أسس علمية صحيحة وروح لا يشوبها التعصب وبذلك نضع حجراً في صرح الوحدة العالمية ..

النظر المادى وروح التشكك

عند المصريين القدماء

من كتاب نهر الضمير للمصراوى الأمريكى برست
ترجمة وتلخيص الأناة اربس حبيب المصرى

أن اهرام الجيزة برهان واضح ناطق على السلطة والثروة اللتين تركزتاً في أيدي فراعنة الاسرة الرابعة . وبقاء هذه الازهرام مدى خسة آلاف من السنين رغم كل عواذى الزمن يعزز هذا البرهان من غير شك . اذ لا بد أن الحاكم الذى كان فى استطاعته أن يوجدهو دالملايين من أتباعه وثرواتهم صوب اقامة بناء ارتفاعه ٤٨١ قدما وهو يشغل للآن مساحة ثلاثة عشر من الأفدنة — لا بد أن مثل هذا الحاكم كان ممسكا بأعنة حكومة مركزية متسلطا على هذه الحكومة المركزية تسلطا تاما . ونحن نعرف الآن أن الرجال الذين همسوا على تعبد هذا المشروع الهائل كوفثوا من الملك بما وهبهم اياه من الاراضى الواسعة حتى أنهم صاروا يعيشون عليها كحكام الاقطاعيات . ولم يلبثوا عد أجيال قليلة أن صاروا يتمتعون بمقدار كبير من الاستقلال . وهكذا أصبحت الحكومة المركزية القوية التى يبدو مظهر قوتها أمامنا فى اهرامات الجيزة الهائلة حكومة لا مركزية مفككة . بل ان التفكك بلغ اقضاء حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد حين أشدت التنافس بين امراء الاقطاعيات وضاع الترابط بينهم حتى كادت الامة تسقط لشدة ما حل بها من التفكك والتنازع . ففى خلال فترة من الزمن لا تزيد على التى سنة كانت الحضارة الاولى قد تطورت تطورا تاما من البداوة الاولى وما فيها من تنافس رؤساء القبائل المختلفة حتى صارت دولة ذات حكومة مركزية متحدة — ثم تفككت هذه الحكومة المركزية تدريجا الى ان عادت ثانية الى حالتها الاولى من تنافس شديد بين حكام المقاطعات وتنازع بين اناسهم . ان شكل الحكم دار دودة كاملة : من اللامركزية والتنافس الى المركزية والاتحاد ثم الى اللامركزية ثانية . وقد استغرقت هذه الدورة نحو التى

سنة تقريبا . وكانت هي أول دورة خبرتها البشرية فتركت اثرا لا يمحى في أذهان المفكرين من الرجال الذين كان في استطاعتهم عند نهاية الدولة القديمة أن يعودوا بصرم الى الورداء ليرقبوا مثل هذه السلسلة الطويلة من التقدم في نظام الحكم . فرأوا ان التنظيم المستمر للمجتمع وما فيه من جلال وروعة قد أثر على آباؤهم كل التأثير . وكان من شأن هذا التأثير أن تطورت معه آراؤهم عن معبودات الطبيعة القديمة فصارت آلهة لها اتصال بالمجتمع وبحياته . ولانه كان في استطاعتهم أن يعودوا بصرم الى الورداء ويراوا هذا التطور المنظم وما تبعه من انحلال قد اندفعوا في التأمل والتفكير . ونحن سنرغب الآن ما كان لهذا التطور من أثر على افكارهم فيما يتعلق بالانسان وبالسلوك البشرى وبالله

والمرجح أن سقوط الوحدة الثانية للدولة القديمة وانهار صرحها حدث بعد سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد بقليل . وفي خلال التناحرن الذي تلا سقوطها وفي وقت لا يمكن تعيينه على وجه التحقيق استطاع نبيل من حكام الاقطاعيات « وكان حاكما لمدينة هراكليوبوليس التي تبعد نحو خمسة وعشرين ميلا جنوبا عن ممفيس » ان يستأثر بالحكم وان ينادى بنفسه فرعونا ولم يترك هذه الاسرة الضعيفة أثرا سياسيا الا القليل من الخلفات . ونشأ الجزء الجنوبي من مصر اماليا واستقل بمفرده . كما أن الحروب توالى على حدود أقاليم مصر الوسطى . ولقد كان لهذا التفكك النهائي أثر هائل على عقول من راقبوه اذ نهار هذا الصرح بعد أن دام الفنا من السنين . وانتقل المفكرون من التأمل في مظاهر العظمة والالوهة الخارجية الى التأمل في قيمة القوى الداخلية . وليس من شك في أن عمرا كز الحضارة كمفيس وهايوبوليس ظلت قائمة كما كانت . وكذلك ظهرت هراكليوبوليس اذ قام فيها على الاقل حاكم مفكر حكيم ومع الاسف اننا لا نعرف اسمه . ولكن هذا الحاكم عندما قارب نهاية حكمه كتب لتلميذ ابنه رسالة عن سلوك الملك يصح ان نسميها « تعاليم موجهة الى مريكرى » وهذه الرسالة العجيبة لا تزال لآن محفوظة في متحف لينجراد وعليها علامات تثبت أنها كتبت في ذلك العصر الذى تتعلق به ويمكن اعتبارها كلفة صادرة حقا من ذلك الملك الهيراكليوبوليسى القديم . وحين يوجه حديثه الى ابنه يرجع بصرم الى الورداء صوب الدولة القديمة

باحترام عميق لما انتجت من حكمة . فيقول « اما الحكيم فيأتيه البر مجعرا كما ايده الآباء . اخذ مثال آباءك واجدادك . . . لان كلماتهم لاتزال مسطورة في الملفات . افصحها لنقرأ ولننقل عنها المعرفة . فهكذا يتضلع العامل » . ويمكننا تلمس اثر بتاهوتب في هذه الكلمات لانه كان من عادته ان يصف الكلام بانه « صناعة » والمثكلم البارع « بالصانع » . كما ان الامير ينصح بقراءة ملف من حكم بتاهوتب حتى يزيل التأمل فيا تحويه من عظات كان قد مضى على كتابتها اكثر من اربعمائة سنة . ثم يقول الملك الكبير : « كن صانعا في الكلام تكن قويا لان قوة المرء لسانه والحديث أقوى اثرا من الحرب . » ولكن بتاهوتب كان يعرف كل المعرفة ان اللسان الملق في حاجة الى حسن التوجيه وحكمة القيادة اذ يتم حديثه بقوله : « لا يستطيع احد ان يقف في وجه الحكيم ولا يناقضه كل من يعرف حكمته . وهكذا لا يتحدث سوء في ايامه » وكان غير ممكن طبعيا تجاهل المعاصب السياسية التي كانت قائمة اذ ذاك . لهذا نصح الملك ابيه بأن يحافظ على السلام مع حكام الجنوب وان يولى **عناية خاصة بالحدود** المهددة الواقعة ناحية آسيا في الشرق ولوليا في الغرب .

ولكن حكمة هذا الملك المجهول تبدو بجلاء فيما يقول عن السياسة الداخلية . فهو يعترف صراحة بقوة الاسر الشريفة العظيمة . وكغيره من ملوك اوريا الذين جاءوا بعده بقرون يرى وجوب التعاون والتفاهم معهم . ولكنه في الوقت عينه يظهر كثيرا من بعد النظر حين يعترف بضرورة اكتشاف المواهب الكامنة في رجال الشعب وفي خلق رجال جدد يمكن الاعتماد على كفاءتهم . واخلاصهم في محاربة البلاء الاقدمين ، فيقول : « اخلق الجيل الجديد حتى تكون محبوبا في بلاطك ، ان مدينتك مملأى بالشباب المدرب ؛ زد حاشيتك من الجيل الحديث . زد دم الممتلكات وامنعهم الحقول وهبهم القطعان ، لاترفع ابن الرجل العظيم فوق ابن الرجل الحقير بل اختر لنفسك الرجل ذا الخبرة والكفاءة » . الا انه ليس من المناسب اهمال البيوتات الشريفة القديمة . لهذا يقول : « عظم بلاءك لكي تنفذوا قوانينك » لانهم ان لم يكونوا قوى يسار لا يستطيعون اقامة العدل . « ان الغنى في منزله لا يجاوب لانه صاحب ممتلكات وليس في احتياج . اما الفقير (متى كان ذا سلطة) فلا يتكلم تبعا للبر » مآت « لان الغنى يقول ليتلى » ليس ممن لا يجابون . لانه يظهر المحاباة لمن يقرر ان ينفذ له الجزاء . عظيم من كان اشرافه عظاء ، وقوى هو الملك

الذى يمتلك بلاطاً - افلا ، رفيع من كان غنيا بالاشراف - ان انت تكلمت بالحق «مات» فى منزلك فالاشراف المهيمنون على مرافق البلاد يخشونك - وسيكون الخير فى نادى الملك العاقل الذى لا ينجأ لان من الداخل « داخل القصر » ينبعث الاحترام للخارج »

والى جانب التبعة الملقاة على الملك بتثبيت العدل مدنيا فان الملك الشيخ يوصى ابنه بما على الحاكم من واجبات هامة فى الهيكل وكيف يتحتم عليه أن يوجه اهتماما خاصا لكل الفروض المقدسة التى يعترف بها اعترافا تاما بارتكابه على العمم الالهية - ومع ذلك فان نفسية الملك لا تبدو من اداء هذه الفروض الخارجية الظاهرة فحسب وليست مراعاتها بصفان كاف للرضى الالهى - لان شخصية المعطى اهم من العطية - وفى كلمة تعبر عن فكرة من اسمى التأملات الادبية المصرية القديمة يأمر الملك الهر اكابو بولسى الشيخ ابنه ان يذكر انه «مقبولة لدى الله فضيلة الرجل البار اكثر من ثور الرجل صانع الشر » وعدمه بتلى الشاب العرش عليه أن يقيم حكمه تبعا للصفات الادبية الداخلية « اعمل البر حتى تبت على الارض - عر الحزين ، لاتصابق الارملة ، لاتحرم انسانا ارثا تلقاه عن آبيه ، لاتؤد الاشراف فى مراكرهم . لا توبخ مالم يكن فى التوبيخ فائدة شخصية بل عاقب بواسطة عبرك ولكن بتغل فىود النظام هذه الارض ... الله يعرف الرجل العاصى وهو يضرب شره بالدم ... لا تقتل رجلا أنت تعرف قيمته وقد رثت معه الملفات » فى المدرسة « . والرق الذى أشاد به بتاهوتب يكرره الملك الحكيم ويؤكد وجوب اتباعه فيستحلف ابنه « لا تكن قاسيا لأن الرفق حسن . ثبت ذكراك بالهبة ... وسيشكرك الناس لحسن مكافأتك .. مسبحتك على رفقك وحسن معاملتك وضارعين لله ان يحفظك » .

ونذكر ان بتاهوتب كان مهتما اهتماما خاصا بالمستقبل فى هذا العالم بسبب التقلبات والاهواء التى تحيط بالمرء فى مركزه . أما ميريكرى فينصحه والده الملك بان يفكر فى المستقبل فى العالم الآخر « ان محكمة القضاة الذين يحكمون على من لا قيمة له — أنت تعرف انهم لا يتساهلون فى ذلك اليوم حين يقضون على الشرير البائس ساعة تنفيذ الكتاب ... لا تتطلب طول العمر لأن قضاة العالم الآخر ينظرون الى العمر كساعة والمرء يحيا بعد موته فتوضع أعماله الى جانبه كالجيلال - لان الابدية

في البقاء هناك «في العالم الآخر» والجاهل الاحق من لا يفكر فيه - أما من يصله من غير ان يكون قد أتى شرا فيعيش هالك كله سالكا مسلكت أرباب الابدية «الموتى البررة» • فهذا الملك الشيخ يرى أن حياة الخير هنا كالاساس الذي تقوم عليه الحياة فيما بعد إذ يقول: «تذهب الروح الى المكان الذي تعرفه ولا تحيد عن طريقها المعتاد الذي سارت فيه بالامس» ولا شك في أنه يقصد بطريق الامس طريق السلوك القيم . لهذا كان القبر ضرورة فهو يقول: زين مسكنك «قبرك» الذي في الغرب وجعل كرسبك في مدينة الموتى كإنسان مستقيم وكفرد عمل البر «مات» لان هذا هو ما ترتكن عليه قلوبهم «قلوب الموتى» .

وأهم ما في حياة الانسان هو صلته بألمه سواء في حياته هذه أو فيما بعد - يمر جيل يتبعه آخر والله الذي يعرف الشخصية قد خبا نفسه... وهو يغلب الناس على أمرهم بما يرونه بعيونهم - فليعبد الله على صورته سواء كانت مصنوعة من الحجارة الكريمة أم من النحاس كالماء يستبدل بالماء . ولا يوجد جنود يدع نفسه محتثا لانه يظن على سدوده التي تحبه . وهذه الكلمة المدهشة الصادرة عن مفكر مصري عاش منذ أكثر من اربعة آلاف سنة هي على ما يظهر مجهود يرمى الى التمييز بين الاله ذاته وبين الصورة التقليدية الموضوعة في الهيكل والتي تحمل على الاكتاف لاسير بها وسط المواكب أيام الاعياد ليراهما الجمهور . ولكن كما أن النهر يظن على سدوده فهكذا الله لا يمكن حصره في حدود الصورة المرئية التي تتخضع بها العيون في حين ان الاله غير المنظور «الذي كان كالاثير لا يدرك كنهه وكنهه يتدفق في نهر آخر فيصعب التفريق بينهما . ومن الصعب جدا تنوع أفكار هذا الملك العريق في القدم ولكن من الواضح ان ما خطه على ملف البردى ان هو الا تأملات عن الاله الشمس يقرب فيها هذا المفكر الحكيم من ادراك وحدة الالهية .» وهو يعترف بمجموعة من الالهة يجلسون قضاة على الناس فيما بعد الموت . ويسدو انه بهذه الفكرة يعتمد عن قبوله فكرة اله واحد - صاحب السلطة الادبية - كما أن وحدة الالهية تبدو ثانية خلال هذه التأملات في الصورة التي رسمها

• يقول برستد ان اول من لاحظ هذه الحقيقة هو حردنر في ترجمته الجريئة لمحتويات هذا الملف بأكملها وهو يظن بأنه لا يوجد للآله من استطاع ان يدرك حقيقة هذه التأملات العجيبة تمام الادراك .

لنا حكيم هيراكليوبوليس في ختامها والتي تصور فيها الخالق الحاكم الحب « في تناول الناس معين لخير وهم قطران الله ، هو خلق السماء والارض تبعا لرغباتهم ، وارواء عطشهم بالماء ، وأوجد لهم الهواء يتنفسوا فيحيوا . انهم أشباهه الذين خلقهم ، وهو يشرق في السماء حسب رغبتهم ، وقد صنع لهم النبات والحيو ان واللواجن والامحاك لفنائهم . هو أهلك أعداءه ، وأدب اولاده بسبب مؤامرتهم على التمرد وجعل النور وفق رغبتهم لكي يسبح في السماء ويراهم . اقام حصنا حولهم ، وحين يكون يسلمهم . وهو الذي هيا لهم حكاما في البيضة أى «سبى فرسم لهم أن يكونوا كذلك قبل أن يولدوا» لكي يكونوا عضد الضعيف »

وعبارة «أهلك أعداءه» تشير الى الاعتقاد الذي كان شائعا بين المصريين وهو ان الاله الشمس حكم مصر كفرعون أرضي حين تأمر عليه رعاياه فاضطر الى اهلاكهم . ولهذا الاسطورة ناحيتها الادبية فيما يتعلق بسقوط الانسان عن استحقاقه العطف الالهى . وفيها يعترف تماما بالسلطة الادبية التي للاله الشمس . وفي هذه التأملات يتكهن أن ملئس مدى المجهود العكرى عند هذا الملك الحكيم في محاولة لايجاد التوازن بين فكرته السامية عن المطالب الادبية وبين التقاليد الموروثة القائلة بابهية الوسائل المادية . فيقول لانه « اقم تمثيل لاننى للاله لانها تديم ذكرى من صنعها . دع الانسان يفعل ما هو صالح لروحه : التطهر الشهري ، لبس الخداء الابيض والذهاب الى الهيكل ، الكشف عن الاسرار ، الدخول الى قدس الاقداس وأكل الخبز في الهيكل . دع التقدعات تنكث ، ضعاف عدد الارغفة ، زد التقدعات الثابتة ؛ لانها نعمة لمن يقدمها . اجعل آثارك ثابتة بقدر ما بين يديك من ثروة لان يوما واحدا قد تجنى من وراثته الابدية وساعة واحدة قد تدوم للمستقبل . فانه يعرف من يخدعه » ويسود المجهود للموازنة بين الوسائل المادية وبين ضرورة الصفات الادبية في تلك الكلمة التي ذكرت قبل حين يقول الشيخ « مقبولة لدى الله فضيلة الرجل البار اكثر من ثور الرجل صانع الشر » ومع ذلك تقدم لله التقدعات لكي يكافئك بالمثل ، زود هيكله بالعطايا وبالملفات لان هذا هو الذى سيحبل اسمك . لان الله عالم عن يقدم له »

هنا اعتراف تام بقيمة الحياة السامية في نظر الله الذى لاتسكى في نظره العطايا ولا بعدها مغنة عن الشخصية — اعترفه مكثه اسم ما وصلت اليه المثا العلية ، عصر الاله ام . م . م .

ذلك فالتقليد الموروث عن الاجداد خاصا بقيمة الوسائل المادية في البناء وفي التقدمات لا يزال معترفا به من الملك الشيخ . ولعله لم يكن يدري أنه كان يستعرض مشكلة لم يكن ممكنا أن تترك دون البت فيها ودون ترجيح كفة على أخرى . ولقد أظهرت الاجيال بقسوة عنيفة غير منقطعة فشل الاعتقاد على الوسائل المادية تلخير النفس البشرية في المستقبل « بعد الموت » وكشف سير الزمن بلا شفقة عن انهيار صرح المادية وهكذا بدأت أول ظلال الشك وانخيلية السوداء تلد الجو المصري الصافي وتملأه ظلمة .

ولقد كان لحكمة هذا الملك المفكر أثرها بعدما سقطت اسرته باجيال . فنحن نسع صداها فيما سرده أحد أشرف الاسرة الحادية عشرة عن حياته الخاصة فيقول : « اننى سمعت من أفواه الرجال كانت الحكمة التى يتداولها الفقهاء وهى أن فضيلة المرء هى كل مايبقى بعده أما صانع الشر فيمضى أثره » وبعد هذا العصر باجيال تعود ورى ذكرى نصائح الملك القديم تردّد بنفس الكلمات تقريبا في سيرة شريفين عاشا لأول عهد الملك سيروستريس « حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م » وجدت مخطوطة في قبريها . وكان احدهما شريفا من أعيان أسبوط وهذا يتنخّر بأنه « من اولئك الذين يقضون من غير محاسبة . لاننى كنت غنيا . وكنت أمقت الكذب ولا أحيدهن طريق الاستقامة » أما سيرة الشريف الثانى فنحوتة على حجر جميل الصنع لا يزال للآلـ موجودا في متحف الفن بنيويورك « المعروف باسم متروبوليتان » والشريف يوسى متووز يقول « كنت أستمع للمتقاضين واتطلب الحقائق من دون أن أظهر المحاباة لمن يستطيع أن يبدل الجزاء لافى كنت غنيا أرقل فى الثروة » وهنا نجد ان كلا منها يحاول ان يبرر الفنى كوسيلة لمعاملة الناس بالحق ولاقامة العدل ولكن فشل الارتكان على الوسائل المادية كن يزاد وضوحا يوما بعد يوم حتى آخر عصر الوحدة الثانية . فلقد كانت هذه الوسائل المادية وحدها هى ما اعتمد عليه ملوك الاسرة الرابعة العظام فشهروا بها الحرب العوان مدى احيال ضد عوامل الفناء . ولكن كفاحهم عديم الجدوى — كما كانت تشهد بذلك الآثار المتداعية التى كانت لا تزال ماثلة امام عيون الاجيال التى تقابلت بهم . كان الكفاح الذى قاده اكبر الملوك كفاح الجبابة . يفوق كل قوى البشر . وقد ظل قائما بلا انقطاع مدى خمسة سنة . وكان كل مابقى من آثار هذا الكفاح الهائل مجموعة من الابنية المترامية تشغل نحو ستين ميلا

مربعا من الارض وتجلبج الافق عن العيون بصخامتها وتراصها . هنالك عند ابتداء الصحراء الغربية امتدت تلك الابنية الشامخة كحصون صامدة على حلود الموت . وكان قد انقضى نحو الف من السنين على الهرم الاكبر منها وانقضت اجيال منذ ان انتهى المهندسون من عملهم الشاق وطوروا ملفاتهم ومضوا كما مضى الميل بعد ان نفصوا ايديهم من العمل القوي اتموه . وكان الكهنة الموكلون بامر هذه الهياكل وهذه الاهرام قد تركوها م ايضا لان بقاءهم فيها كان معناه هلاكهم اذ انفض عنهم الناس ففادروا الابنية المنيفة والممرات المهددة الرحبة . وهكذا خيم سكون رهيب موحش على المقابر الشامخة وطلعت عليها الرمال وغطت تلك الخرائب التي كانت فيما مضى ابنية شامخة فخمة . وزالت من امام العيون الاقواس المتداعية والاعمدة الساقطة وصار المكان كله قاعا صافيا خرابا لا يسمع فيه صوت ولا يرى فيه مخلوق سوى ابن آوى وهو يحول الاختفاء عن مطارديه . كل هذه الخرائب وما اصابها من اهلاك ومن تعثر ابن آوى فيها كانت شهادة ناطقة قاطعة بان العناية باله الموت القديمة الحامية للصحراء ضرب من صروب النسي . والى يومنا هذا لا يوجد منظر اشد روعة من اهرامات الجيزة الشاهقة . ومن السهل على كل منا ان يذكر شتى المشاعر التي تملكته حين رآها لأول مرة .

وكثيرا ما احسنا بالرهبة والخشوع ولكن هل ندرك نحن العائشين في القرن العشرين ان هذه المشاعر وهذه الاحاساس كانت هي بعينها التي خالجت خلفاء مشيديها الذين عاشوا بدمهم بقرون قلائل ولم يمض على ذهاب الاسرة الرابعة سوى بضع مئات من السنين ؟ وهل في امكاننا ان ندرك ان هذه الاهرام كانت قديمة بالنسبة لمن عاشوا سنة ٢٠٠٠ ق . م . ؟ ان منظر الاهرام كلف عميق الاثر على اذهان المفكرين الذين عاشوا في آخر عصر الوحدة الثانية . فان كان قد بدأ ظل من الشك يظهر لمن عاشوا في عصر بناء الاهرام في الاعتقاد بان الوسائل المادية المحضة هي الوسائل الوحيدة لتقهر عوامل الفناء وهي وحدها السكتية بالحصول على الخلود فان هذا الظل اخذ يقوى ويزداد حركية حين تداعت هذه الوسائل المادية وحين صارت الاهرام ومقابرها كتلا من الخرائب يسودها الصمت الرهيب وتساقط اعمدها واقواسها دون ان يبالي بها احد . وهكذا اخذ الشك يقوى ويتسلط على العقول ولم يلبث ان تدفق الى الادب .

وانه لعصر ناضج ذلك العصر الذى اخذ فيه القوم يساءلون فيه عن صحة العقائد التى اعتنقها الآباء ولا يرضون بان يتخذوها قضية مسلما بها لا لشيء سوى لان اجدادهم اعتقدوا بصحتها . فهو معنى انهم فكروا مليا في تسلموه وبدأوا يشعرون بقوتهم الشخصية ومقدرتهم على ان يؤمنوا به اولا يؤمنوا . وتفكيرهم هذا هو خطوة واضحة في سبيل الشعور بالشخصية ومقدرة الفرد على التجديد . ولا يظهر الشك الا بين قوه نضجت حضارتهم — ولا يوجد الى الاطلاق بين الاقوام العائشين في سذاجة العطرة . اذن فهؤلاء المتشككون المعكرون الذين عاشوا في نهاية الوحدة الثانية كانوا هم الخلاصة لما انتهى اليه التقدم انكرى خمسة قرون حاسمة . وتبدو وجهة نظرهم بوضوح انشودة كانوا يتغنون بها في عيد خاص بذكرى الموتى — وكانوا ينشونها في المقابر حين يجتمع كل جماعة حول قبر قديم . ولا يوجد سوى نسختين من هذه الانشودة احدهما على ملف بردى والاخرى على حدران قبر في طيبة . وقد كتبت في ثمة النسخة المخطوطة على البردى هذا العنوان : « الانشودة التى هي في بيت الملك انتف » الموصوفة امام عنى المنشد حامل القيثارة »
وانه لمن المدهش حق ان تكونت هذه الانشودة على حدران قبر خاص بملك من الاسرة الحادية عشرة «حوالى» سنة ٢١٠٠ ق . م . وفي استطاعتنا ان نحيل ونمن تتبع الانشودة بان المنشد حين كان يغنى كان يقف على مرتفع من الارض ويرفع بعصره صوب الاهرام التى كانت تبدو له عن بعد . وهذه هي الانشودة :

انشودة عازف القيثارة

ما اعظم فلاح هذا الامير الصالح

قد آمنت فيه الاقدار الكريمة قصدها

تمر الاجيال المتعاقبة

تتبعها غيرها

منذ ايام اجدادنا

« يقصد بالبيت المعبد المتصل بالقبر . واتف هذا احد ملوك الاسرة الحادية عشرة . »

الآلهة الذين علشوا قبلنا
 الذين يسمون بالراحة في اهراماتهم
 الاشراف والموتى الابطاح ايضا
 مدفونون في اهراماتهم •
 اولئك الذين بنوا معايدم
 لم يبق لهم من اثر
 تأمل فيا حل بمكانهم •
 لقد سمعت اقوال أمهوتب وهارددف
 كلمات ذاع صيتها كما تفوهوا بها •
 هذم الاماكن الخاصة بهم
 لقد تلامست حبلها
 لم يبق منها شيء
 كأن لم تكن
 لم يأت احد من هناك
 ليخبرنا كيف حالهم
 ليحدثنا عما أصابوا
 ليريح قلوبنا
 الى أن نرحل نحن أيضا
 الى حيث سبقونا
 شجع القلب على النسيان
 واملأ سبيل رغباتك بللرح
 طالما حيث

ضع المرعى رأسك
 واللبس ثيابا من التيل الناعم
 وانعم بكل أسباب الرفاهية
 والكماليات الحقة التي للأمة
 زد في أسباب استمتاعك
 ولا تندع قلبك بتراسي
 اتبع رغبتك وما فيه خيرك
 رتب أحوالك على الأرض
 تبعا لما يمايه عليك قلبك
 الى أن يأتي يوم التندب
 حين لا يسمع ذو القلب الصامت بكلامهم
 ولا يصنى ساكن القبر للمويل
 اعط اليوم السعيد حقه من المرح
 لا تترسخ فيه
 فهو ذا لا يأخذ انسان ممتلكاته معه
 ولا يعود أحد ممن يذهبون هناك

تلك هي المشاعر التي جاشت في صدور بعض المفكرين من المصريين الذين عاشوا في ذلك
 العصر الجديد حين كانوا يصرون مقابر اجدادهم الهائلة ويتأملون هول الفشل المائل امامهم في اهرام
 آباؤهم . وحتى اسماء رجال الحكمة والفكر امثال امهوتب وهارددف خطرت على بزل المنشد لانهم
 مالوا بحكمتهم خلودا يفوق الخلود الآتي عن طريق المقابر المادية الهائلة . ولم تكن صدقة أن يكون
 اسم امهوتب أول اسم ذكره المنشد . وامهوتب هذا اول من شيد بناء شامخا من الحجر فهو أبو
 المهندسين البنائين . ولانه كان مهندس الملك زوسر « سنة ٣٠٠٠ ق م » فقد اقام لأول مرة

صرحا بأنّها هو أقدم ما بنّاه الإنسان من الحجر الصلب وما بقي لنا من العالم القديم وهو الهرم المدرج بسقارة • وكانت شطرة لها رنة خاصة تلك التي عادت بمشدها الى ذكر قبر ذلك المهندس العظيم فوجده متداعيا زالت معالمه كأن لم تكن • والواقع أن قبر امهوتب لا يزال مجهولا حتى يومنا هذا. اما هاردنف فكان احداً اثناء الملك خوفو وهو بذلك ذو صلة بالهرم الأكبر ولان ذكرى هذين الرجلين بقيت لما عرف عنها من الحكمة والمعرفة فقد اتخذت هذه الحقيقة دليلاً آخر على عجز المسائل المادية كوسيلة للخلود • ولكن تبسو في الوقت نفسه رنة من الامس والتأمل العميق في تلك الكلمات التي يقول فيها المنشد انه لا يستطيع معرفة ما أصاب الراحلين لانه لم يعد واحد منهم ليخبره بها هنالك — رنة يمكن سماع صداها في الشرق بعد انقضاء ثلاثة آلاف من السنين في الايات التي قالها عمر الخيام وهي :

« غريب — اليس كذلك؟ أن من الملايين

الذين هاجروا أبواب الظلمة قبلنا

لم يعد واحد ليخبرنا عن الطريق

الذي يجب أن نجتازه بأفئتنا لينكشف لنا »

وهذا تشكك في كل الوسائل مادية او معنوية للحصول على الخلود • وليس لهذا التشكك من جواب انما الجواب الوحيد هو اطراح الشكوك جانباً مؤقتاً والتّمنّي بما في العالم من ملاذ وشهوات تطفئ على الشكوك فتفرقها • ولذلك « فلأكل ولتشرّب لانتاغدا غوت • »

اما النسخة الثانية فتوجد في قبر «الاب الالهى كاهن امون — نفرهوتب» في طيبة • ولكنها اقل روعة من الاولى وهي لسوء الحظ ناقصة • ولكن بها بعض شطرات لها قيمة خاصة وبها تأملات عن باطل الغنى كأنما اراد كاتبها ان يتوسع في المعركة التي بدت في النسخة الاولى القائلة بأنه «لا يأخذ احد ممتلكاته معه» والمال لا قيمة له لان النهاية واحدة «لأولئك الذين كانوا يمتلكون المخازن وينفقون عن سعة على موائد التقدمة ، ولأولئك الذين لم يكن لهم مثل هذه التعم» لذلك يتصحّح الغنى بان «مذكر اليوم الذي سيحمل فيه الى حيث لا يعود» — «فانهم هوى نفسك»

ومعنى الانشودة طبقاً لهذه النسخة لا يبعد مخرجاً له من التأمل فى الموت ولكنه يشير الى انه من الخير على اية حال ان يترك الانسان ذكرى حسنة بعده - ليس لان عمل الخير يؤدي الى اية منفعة فى العلم - لم الآخر بل لیسقى اسمه فى اذهان من يأتون بعده . فالحياة الاديبة التى يحتتمها «الاله العظيم» الذى لا مفر من قضاءه فيما بعد - هذه الحياة الاديبة وكل ما يأتى عنها من خير فى عالم الموتى كنتيجة طبيعية لها لا ذكر لها على الاطلاق فى ذهن هذا المتشكك . وهو يتجاهل الآلهة ولا يذكر الا الاله الشمس «رع او اتن» الذى يظهر اسمه حتى فيما يتعلق بالمومياة حين يخيل لنا ان اوروريس هو الذى يجب ان يذكر . فلا تنهاس فى المذات والذكرى الحسنة هما خلاصة ما ينادى به اولئك المتشككون الذين تركوا تعاليم الآباء .

ولاشك فى ان السلوك الادبى كان موضوع تأمل عميق منذ عصر «قصة ممفيس» ولكن لم يكتبه المصريون المقدرة على الاختلاء باسمه لتأمل واحد كما لا بعدها بألف سنة فى العهد الاقطاعى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . هـ . حين استعاضوا لأول مرة ان يبنوا المجتمع كوحدة فاصبح محلاً للتأمل وبعد التفكير . وكانت نتيجة هذا التأمل وهذا التفكير العميق للبعض منهم تشاؤماً لا ينفذ اليه شعاع من الامل . المتكهن شخصية المجتمع كوحدة قد بلغت من الشر ابعاد الحدود حتى ان العمل على اكتساب حسن الذكر كان اقل قيمة مما تخيله المنشد عازف القيثارة ؟ ثم ماذا يكون الحال لو فرض ان لطنخ اسم الفرد عار من غير ماذب اقترنه ؟ ولو فرض انه لم يكن فى مقدوره ان يدفع عن نفسه هذه التهمة الباطلة ؟ - ثم لو فرض ان المرض أو الضعف اقعه فلم يستطع ان يترسل فى اشباع رغبات نفسه وميولها ؟ هذه الحالة وما تفرضه هى بعينها ما تنصرونه لنا احدى الملفات البردية التى لا تزال محفوظه للآن فى متحف برلين . وربما كان هذا الملف أدهش مخلفات ذلك العصر السحيق . ويمكننا أن نسمى ما فيها بأنه «نجوى متشائم الى روحه» ولو أن الاقدمين لم يضعوا لها عنواناً . والموضوع العام فيها هو اليأس الناتج عن حالة المجتمع - يأس لا سبيل الى الحياة معه ولا منقذ منه الا الموت . ولا حاجة الى الاشارة بما يثيره الكلام فى هذا الموضوع فى ذلك العصر السحيق من دهشة وعجب - لان الموضوع هو فى الواقع يتعلق بحالة

نفسية ، أو هو اختبار داخلي لنفس معذبة تتألم ظلماً . فهو إذن أقدم رسالة أدبية تصف اختباراً نفسياً .

ولسوء الحظ أن المقدمة التي تصف الظروف المؤدية الى هذه الثورة النفسية قد ضاعت — والكتاب إذن ينقصه التمهيد ولكن يمكن استخلاص بعض الحقائق (التي لا شك أننا كنا نجدها فيه لو أننا عثرنا عليه) من التأملات عينها . ولا يعرف اسم المؤلف — ولكنه يبدو لنا رجلاً رقيق النفس أصابته المصائب وتوالت عليه المحن . مرض فهجره اصدقائه بل هجره أخوته الذين كان يجب عليهم العناية به . ولم يبرهن له احد عن الاخلاص لانه وهو في محنته سرق جيرانه ماله ونسى الجميع ما كان قد فعله من خير . ومع أنه كان حكيماً فصيح اللسان الا انه زلحين حاول الدفع عن نفسه . ثم حكم عليه ظلماً وعدواناً فصار اسمه مفضة في الافواه بدلاً من أن يكون محل الاجلال والاكبار . وفيما هو على هذه الحالة من اليأس والقيوط نرى له شبح الموت فعول على الانتحار . وهنا يبدأ الجزء الذي لا يزال باقياً . فراء وهو واقف على حافة القبر وقد تراجع روحه هاماً من روعة الظلمة فيما بعد ورفضت أن تستمع . وفي محادثة طويلة بين الرجل وبين روحه اخذ الرجل يناقش روحه ويحاجها كأنها هي شخص آخر . وأول ما تبديه روحه من المخاوف هو ارتياحها من كونها قد لا تجد قبراً تسكنه بعد الموت . ومن الغريب أن تذكر هذه المخاوف مع أن هذا الرجل كان ضمن من يتشككون في فعل الوسائل المادية . ولكننا لا نلبث أن نكتشف أن هذه المخاوف اسماً ذكرت كوسيلة ادبية لاثبات تفاهة الوسائل المادية تفاهة تامة ويظهر ان الروح قد افترضت الانتحار حرقاً ثم تراجع من هول هذه النهاية . وبما انه لن يوجد صديق أو قريب ليقيف على القبر ويقوم بالراسيم الدينية للدفن فقد استحلف المتشائم روحه لتؤدي له هذه المهمة . وهنا ترفض الروح الموت بأية وسيلة وتصف احوال القبر . « فتحت روحي قايها واجائني قائلة « ان انت تذكرت الدفن انه حزن ، انه مجلبة للدموع وللألم ، انه اخذ الانسان من بيته والقائه فوق المرتفع « الجبل حيث القبور » فلا تعود تصعد الى المرتفعات لترى الشمس . اولئك الذين يننون بالجرانيت الاحمر ، الذين يقيمون المقبرة داخل الاهرام ، اولئك الحسان داخل هذه الابنية الجميلة الذين صاروا كالألهة ، ان موائد تقديماتهم اصبحت خالوية كموائد المتعبين الذين يسقطون

على قارعة الطريق لفرط الارهاق كوائد اولئك الموتى الى جانب القنوت فحرفتهم المياه بعد ما قتلهم الحر واتهمهم السمك . اصغى — لانه من اللياقة ان يصنع المرء — اتبع هوى نفسك وانس الهم . »

تلك اذن اجابة النفس حين تنظر الى الموت وفقا للتقاليد . فيؤكد المنشأ انه « سيد من يرقد في اهرامه . ويقف الى جانب تابوته قريب » ويلجئ الى الطلب الى روحه بان تكون « الذى يهتم بدفنى ويقدم التقدّمات على ويقف على قبرى ليعمد لى مرقدى . » ولكن روحه تعود فتذكره بالاهرام المتداعية والخرائب التى اصبحت كل مابقى من مقابر العظماء كما تذكره بالاهمال الذى صار نصيب هذه المقابر ويحلو موائدها من التقدّمات كما ائد البؤساء الذين يسقطون كالحشرات وهم يشغلون باقامة السدود فوق القنوت . ولا يوجد سوى حل وحيد : هو الحياة ونسيان الهموم واغراقها فى الملذات .

والى هذه المرحلة لاتمدى هذه القطعة الادبية ماوى غيرها من التأملات . ولكنها بعد ذلك تختلف عن كل ما سبقها . فيحاول المنشأ ان يثبت ان الحياة اقل احتمالا من الموت وابعدا تكون عما يتوهمه البعض من انها مسرح للملذات وهو لكي يتبنت صحه مايقول يكتب اربع مقطوعات من الشعر موحية الى روحه وهذه المقطوعات هى الجزء الثانى من الرسالة وهى لحسن الحظ اكثر وضوحا من الجزء الاول . فى المقطوعة الاولى يصف احتقار الناس لاسمه ويستعين فيها بتشبيهات مختلفة مأخوذة عن الحياة اليومية لتوضيح مايقول . اما فى المقطوعة الثانية فهو ينسى نفسه ليصف اولئك المسئولين عما اصابهم من شقاء — وهو اذ ينظر الى المجتمع فى عصره لايرى سوى الفساد والمكر والظلم والغيابة حتى من اقربائه . وانها لتهمة رائحة تلك التى يوجهها الى المجتمع وهو اذ يتفوه بها يسائل نفسه مرة بعد اخرى : « الى من اتحدث اليوم ؟ » ولاشك انه يعنى بذلك « اى نوع من الناس اولئك الذين اتحدث اليهم ؟ » وفى كل مرة يكون الجواب على هذا التساؤل انها ما جديدا ثم ينتقل فى المقطوعة الثالثة الى امتداح الموت ولكنه لا يبلغ فى وصف ذلك الدروة التى تلغها افلاطون فى وصف موت سقراط ، ولا هو يقرب من تلك الشكوى المريرة التى

يتفوه بها ايوب في آله ، ولكن هذا الشعر بوصف كونه اقدم تأوه من انسان يتألم ظلما ، وكأقدم صرخة للبريء يتردد صداها على مر الدهور من ذلك العالم القديم هو قطعة رائعة من الادب لها قيمة منقطعة النظير ، لا تخلو من جمال ومن رقة تشير تشفقه والالم . ومن المدهش انه لا يذكر اسم الله فيها وانما يتغنى بالخلاص من كل ما في هذا العالم من ألم لا يحتمل — ينسى الماضي ولكنه لا يتند بصبره الى المستقبل . وهو صورة حققة للمصر وللبلد الذي كتبت فيه . لان كل ما فيها من صور مأخوذة من الحياة على ضفاف النيل في ذلك العهد . وعلى الرغم من ان ما فيها من صور مأخوذ من عالم بعيد غير مأوف «الى حد ما» فانها لآن تؤثر في نفوس قارئها تأثيرا بليغا .

اما في المقطوعة الرابعة فيتجه المنشأ صوب المستقبل الذي تحمله تماما في الثالثة . وهو يبدأ كل جزء منها بكلمات «ذاك الذي هناك» او «اولئك الذين هنالك» ويعني بها الموتى . «فذاك الذي هنالك» سيصير هو نفسه الها «وسيقع العقاب على الشر وصاحبه» لأعلى البريء . كما في هذه الحياة و«ذاك الذي هنالك» سينفج مع الآلهة الشمس في رورقة الجاوى وخير التقدمات ستقدم الى الآلهة بدلا من الاسراف في تسديدها على الحكام الفاسدين للصمص . «ذاك الذي هنالك» سيحترق لحكته وسيوحه تظلمة للآله الشمس معه الذى سيمتعه الفرصة يوميا لبث شكواه .

وكان المنشأ قد ابدى ثقته في أنه سيرر فيا بعد وهو يعود الى هذا الاعتقاد في المقطوعة الرابعة التى يختم بها رسالته العجيبة . فهو اذن يتعنى الى نتيجة شبيهة بتلك التى انتهى اليها ايوب وهى استئناف بث شكواه الى الحاكم العدل ليتبرر مما علق به من تهمة . ولكنه لم ينفق وايوب في كون ايوب قد صبر اما هو فقد عول على الانتحار . وهو قد عول عليه لانه وجد ان الموت هو الخطوة التى لابد من اجتيازها للوقوف فى ساحة العدل وهو لذلك مرغوب فيه باقصى سرعة .

وهكذا رضى روحه ان تقبل على الانتحار لانها تنوق الى الخلاص واثقة كل الثقة بما سينالها من مزايا بعد الموت — وهكذا يجوز المنشأ الضلال ويتنقل ليكون مع «اولئك الذين هنالك» . ولايسعنا الا الشعور بشيء من الاسى عند مراقبة هذا المجهول يعبر من عالمنا الى العالم الثانى وتغطيه حجب الجلال . فان روحه هى اقدم روح بشرية استسلمت ان تلج قسبا من خفاياها الداخلية وبيننا

وبينها اربعة آلاف سنة .

لقد كان رجال العهد الاقطاعي يتبارون في اقتناء هذه القطع الادبية فالملف الذى خُلت عليه هذه الرسالة هو الملف المحفوظ الآن بمتحف برلين وقد كتب فى آخره « انتهت من البداية الى النهاية كما وجدت فى المخطوطات » فكانت قد نقلها بلا شك عن ملف أقدم . ولا شك أيضا فى أنه كانت توجد عدة نسخ غيرها فى مكاتب المفكرين فى ذلك العصر . ولقد نشأت قصة المنشأ من اختبار الفرد الذى كان يمر عن حقيقة الحالة المضطربة المؤلمة المحيطة به . ولأن كثيرين غيره أحسوا بنفس مشاعرهم وعرفوا اختبار شخصياتهم كانوا يرتاحون الى قراءة ما خطه والتفكير فيه . وهذه خطوة حاسمة فى التقدم البطيء صوب الشمور بالنفس وهو تقدم أستغرق أحيالا حتى انتهى الى قيام الفرد كقوة أدبية ذاتية وحتى تحول الفرد فاصح فى مقدوره ادراك معنى الضمير وحله المحكمة العليا التى يرجع اليها فى الحكم والتى بها يستطيع أن يواجه المجتمع ويتهمة ويقضى عليه . وموقف هؤلاء الرجال المفكرين هو موقف من يشعر بمظم المسؤولية الادبية للفرد والمجتمع . وهو موقف نستطيع نحن الآن أن نفهمه ونستسيغه لكثرة من تولوا علينا من الانبياء والرسل . ولكن الاختبار البشرى لم يكن قد أبرز مثل هؤلاء الرسل عند قيام العصر الاقطاعى فى مصر منذ اربعة آلاف سنة . فظهرهم على ضفاف النيل اذ ذاك كان فاتحة عصر جديد للبشرية — عهد يفسح المجال للفكر البشرى والمسئولية الادبية .

وقصة المنشأ ولو أنها قصة اختبار فردى إلا أنها تناولت فحص المجتمع الذى كان ضعفه ونقصه سببا فى كل ما اصاب هذا المنشأ من بلايا . ونحن نجد أن المفكرين من المصريين كانوا يجنون لذة عظمى فى التغنى بالمثل العليا للسلوك — ونجد أن هذا التغنى قد بلغ مرتبة سامية فى حكم بتاهونب ومنها الى نصائح مريكرى . ولكن هؤلاء المفكرين مع سمو ما اتفقوا به من المثل لم يكونوا ليقفوا قليلا كى يقارنوا بين نظرياتهم النبيلة وبين الواقع . ففى « نصائح مريكرى » نجد كلمة « نور صانع الشر » وبرى الإشارة الى تكليس خطايا المراء فتصير كالجبال الى جانبه عند الدينونة . ولكن لا نجد أى ادراك لانحطاط المجتمع . فنحن أذن فى هذا العصر « سنة ٢٠٠٠ ق.م. »

قد وصلنا الى مرحلة بدأ الحكماء يدركون فيها هول الفرق بين المثل التي توارثوها عن أجدادهم وبين الحقيقة المروعة المحيطة بهم . وهم أيضا قد بدأوا يظهرون اهتماما جديداً بالخطاط المجتمع الذي يعيشون فيه ومقدرة على التأمل في أعماله وإدراك أخطائه ، وهذا كله يصبح موضوعاً للكتابة ولو أنها كتابة التشاؤم — في هذا العصر العجيب ، عصرنا فيه الإدراك الشخصي ودب فيه ديب اليأس والخيبة لأول مرة في تاريخ البشر .

وقد عاش في هذا العصر كلهم من كهنة هليوبوليس اسمه كيكيري سونب عبر عن تأملاته القائمة في رسالة كانت لا تزال متداولة بعده بأجيال حين قلها كاتب في عصر الأسرة الثامنة عشرة على لوحة لا تزال للآن في المتحف البريطاني . وهي شيقة لأنها ترينا كيف ان رحال ذلك العصر البعيد كانوا شاعرين بأنهم بدأوا يتجهون سلا جديدة في التفكير وأنهم حادوا بعيداً عن عدم المبالاة والقناعة البادية لهم فيما كنه آبلؤم . وكهن هليوبولس يبدأ حديثه كما يلي : « ليت في مقدوري ان اتفوه بكلمات مجبولة وأتحدث بأقوال غريبة ، أو بالأصح ليت عندى لغة جديدة لم تتردد على المسامع من قبل ، خالية من التكرار . بدلا من هذه الكلمات التي طالما ترددت وتحدث بها الاقدمون لقد تكلمت وفقاً لما رأيت منذنا بالرحل الاول ثم الى من جاء بعدهم . . . لقد سقط البر وقام الظلم وسط قاعة المشورة ، واعتدى على مشاريع الآلهة وأهملت عطاياهم . فابلندى شقاء الحزن في كل مكان ، المدن والاحياء الواسعة كلها في نحيب ، الجميع على السواء سقطوا تحت الظلم أما حرمة الاشياء فقد دبت حين أمم بالكلام أشعر بأن نفسى ثقيلة من الحزن . أنا متألم لقلبي اذ يحجزه الصمت . ولو انه كان قلب انسان آخر لأنحى امام العاصفة وصمت . أما القلب الشجاع فهو رفيق صاحبه . ليت لي قلباً في امكانه الالم فحينئذ كنت أرتاح اليه .. فقال اذن يا قلمي أتحدث اليك لتفسر لي ماذا هي البلاد .. أنا غائر في تأملاتي لما أصابها . تنو الى المصائب اليوم ولا تنقش غدا . الجميع واجهون والبلاد كلها فريسة الفوضى . لا يوجد انسان واحد خال من العيب — بل الجميع اخطأوا . القلوب واجحة . وصاحب الأمر تساوى مع من يأمره وقلب كليهما قانع . يستيقظ الواحد منا يوميا للألم والقلوب لا تلقى خلفها . وما كان بالأمس يتجدد اليوم .. لا يوجد حكيم الى حد الإدراك ولا غاضب الى حد الكلام . ما أشد ما أعانى . والعقير ليس

له قدرة على تخلص نفسه ممن هو أقوى منه . وما أشد الألم في الصمت ولكن في التحدث الى الجاهل ما هو أمر ...

هنا اذن انسان هزء مساد مجتمعه هرا عتيفا . وهو يأمل في هذا المجتمع كوحدة ومع أنه يعبر عما في نفسه من ألم لما يواجهه من فوضى الا أن ألمه ليس بلهم الوحيد . وهو مشغول البال ألم للمجتمع الذي يعيش فيه — ذاك المجتمع الذي يرسف في قيود الضعف والخور ولا يستطيع ادراك مدى يؤسه وشقائه . وليس في مكتته أن يعمل ليتجدد . وكثير من تأملاته يمكن أن نسمع صداها في افواه المفكرين الآن ممن رق احساسهم الادبي . فن الطاهر اذن أن الناس كانوا في ذلك العصر قد وصلوا الى مرحلة بدأوا يشعرون فيها لأول مرة في تاريخ البشرية بعظم اخطاء المجتمع وبأخطاؤه الادبي .

ووجهة هؤلاء المفكرين ترجع الى حد ما الى الادرار الادبي عوا مطرداً . ولكن هناك عوامل أخرى ساعدت على حدة خيبتهم . لقد نثر أولئك الرجال ثوراً عميقاً تأملاتهم في حياة البشر هنا وفيها سيقدر لها بعد الموت . وقد لاحظنا من قبل شيئاً من أسى الخيبة التي اتاقتهم حين اكتشفوا بأن الوسائل المادية المحصنة تافهة لاتضمن السعادة النسبية في العالم الآخر . هنا اذن تقليد قديم غائر في القدم حتى انهم لا يستطيعون تحديد منشأه — تقليد من تقاليد الآباء تداعى وانهار فجرف معه كل شعور بالطمأنينة وبالثقة في العالم الآخر . وربما كان من جراء ذلك أن الثقة في حكمة الاولين والركون اليها ركوناً أعمى لم يعودا في الامكان . فان كان هذا هو اختبارهم نحو ما تسلموه عن الآباء فيما يتعلق بالحياة الثانية فان ترزعزع ايمانهم زاد اضعافاً لما رأوه في هذه الحياة . فلقد دام مدى الف من السنين نظام قومي مشابهي فرعون واسمه مآت « الحق — العدل — البر » ولكن هذا النظام أصابه الخلل . فتجد الشمال متقسماً على الجنوب والملك الشيخ في نصائحه لابنه مبركى يبدى مخاوفه من هجوم الاغراب ويؤكد ضرورة حماية الشمال . وبالتدريج تداعت القوة المنظمة التي دامت هذه القرون الطوال واكتشف الطامعون من الاجانب مواضع الضعف في الامة التي كانت عظيمة قوية فاخذت جموعهم تنهال كالسيل على الدلتا من آسيا في الشرق ولوبيا في الغرب — وسارت الفوضى في أثرهم قتم الخراب . وربما كانت هذه الحالة المحزنة هي التي يصفها كاهن هليوبوليس في مراثيه

أما فلسفة التفاؤل المادنة التي نبجدها في حكم تاهوتب قد سقط عليها غل كفيف من التشاؤم،
 إذ دانت كتابته لسبيين الأول صياح الأمل نهائيا في الحياة بعد الموت المؤسسة على عدة الوسائل
 المادية ، والثاني أن النظام الأدبي الإداري الذي دام ألفا من السنين والذي كان الأساس لكل
 مجهودات المجتمع ، هذا النظام الذي خيل للجميع أنه دائم الاستقرار تداعي وانهار . فسقط الأمل
 في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى تحت الأتقاض وعمه ظلام دامس خيل لكاهن هليوبوليس ولغيره
 من المفكرين أن الآله الشمس نفسه لن يستطيع أن يبدده . ففي خلال ألفين من السنين من الحياة
 القومية المنظمة أقام الناس مقاييس خالوها دأمة لأنزعزع وتلك المقاييس التي قدروها ومحموا بها
 كانت أول ما جرفه التيار . فكان ذلك العصر الذي ضاعت فيه هذه المقاييس المثلث هو أقدم عصر
 للشعور بالخيبة والقنوط واليأس . وهذا الانهيار التام لكل الآمال البشرية السامية وكل الطموح قد
 حدث عدة مرات في التاريخ منذ ذلك العصر البعيد . وكان آخر حدوثه في السنوات التي أعقبت
 الحرب الكبرى . ترى هل كان احزن والعويل هما كل ما وحده أولئك المصريون المفكرون حين
 اسودت الدنيا في عيونهم وضائقهم ؟ أنه لم يلبس التيق حقا لنا نحن الذين لانزال نحارب الفساد
 وسوء النظام في هذا العصر أن نتبع أفكارهم وشجاعهم في مجابهة تلك الكارثة الأولى التي دهمتهم
 منذ أربعة آلاف سنة وكانت أول كارثة في تاريخ البشرية .

ايريس حبيب المصري

فِي الْحَيَاةِ وَالْعَمَلِ

بقلم سلامة موسى

حرية المرأة
خطة الاكتفاء الوطني الاقتصادي
تقييد الأعمال الحرة
الكساد العام يتفاقم
تصميم كتاب يجب أن يؤلف هذه الأيام

حرية المرأة

في هذا الشهر — أكتوبر — احتفلت كلية أوبرلين في الولايات المتحدة بمرور مائة سنة على تعليم الفتيات . ففي سنة ١٨٣٧ دخلت هذه الكلية أربع فتيات وشرعن في تلقي المحاضرات على قدم المساواة مع الشبان . وكان المؤلف من قبل أن تعلم الفتيات مواد خاصة كان يزعم المربون أنها تليق للنساء

ومن هذا الخبر نفهم أن حرية المرأة حديثة حتى في أوروبا وأمريكا . فإن التفريق بين الجنسين في التعليم — وهو أعظم مايدل على اختلاف الطرز بين القادة والساسة بشأن المرأة والرجل — كان إلى وقت قريب علما . بل هذه الحرية نفسها ليست قائمة على أسس ثابتة كما رأينا من دطوى الفاشيين في إيطاليا أو الاشتراكيين الوطنيين في ألمانيا . وصحيح أن هذه الدعاوى لم تجدد الاستجابة العميقة بين الألمان أو الإيطاليين الذين يملكون تراثهم التعليم الجامعي ويفتحون لهم أبواب الارتزاق في جميع الأعمال الحرة . ولكن هذه الدعاوى تدل على أن النظر الشرق للمرأة لا تزال فيه بقية من الحياة — ولو كانت حياة ضيقة — في أوروبا

وهذا النظر الشرق لا يزال محنيا علينا في مصر . وهو ليس خطراً على حرية المرأة وحدها بل على حرية الرجل . على حريتنا جميعاً . لأن أعظم تقاليد هذا الشرق هو حكم الفرد أى الحكم الاستبدادى واستعباد المرأة . فالشرق لم يعرف في تاريخه قط الحكم البرلماني والنظام الديمقراطي كما أنه لم يعرف حرية المرأة . بل أن بعض الأقطار الشرقية حتى عند ما تأخذ بأساليب الحضارة الحديثة الأوربية مثل اليابان تسبق من شرقيتها استعباد المرأة . وكلنا يعرف أن الأب الذي يستخدم أحدث الآلات في مصنعه يتجر بمرض ابنته ويبيعها للبناء . وهذا بالطبع يرجع إلى هو ان المرأة عند اليابانيين الشرقيين

وليس بعيداً أن نقصد نحن الرجال حريتنا اذا ساد الأمة هذا النظر الشرقى . ففي مدة المرحوم

الملك فزاد رأينا محاولات متكررة لهدم النظام البرلماني رغبة في الاستئثار بالحكم . وليس بعيداً أن نرى هذه المحاولات تتجدد ، كما رأينا أيضاً محاولات لهدم حرية المرأة أو تقييدها بدأت قبل سنتين أو ثلاث بالفصل في شواطئ الاستحمام بين الجنسين وانتهت بالمطالبة بالفصل بينها في كليات الجامعة . وهذه الحرية التي نلناها نحن الرجال والنساء لا يمكن أن تصونها إلا إذا سهرنا عليها في بقعة وانتباه . وأحسن الوسائل لصيانتها أن ندأب في المطالبة بزيادتها فإنا كسبنا تعليم المرأة فلنحاول أن نكسب زيادة حقوقها الاقتصادية بأن نطالب الحكومة بفتح أبواب العمل لها على قدم المساواة مع الشاب . وكذلك يجب أن نحثها على الاقبال على العمل الحر لكي تتكسب . وعندما نقول أننا نريد من المرأة أن تتعلم وتكسب لانفسى أنها يجب أن تؤثر المزمومة على الزواج . فإن الشاب يتكسب ويتزوج وكذلك الفتاة قد تتكسب ثم تتزوج . وهي بعد الزواج قد تستمر في التكسب او قد تتجبد من مشاغل البيت ماهو أهم وأدعى لاستئثار نشاطها

ولكن الفتاة يجب أن تتعلم لكي تعمل عملاً مجدياً للامة وتكون لها . وذلك لكي تكون شخصيتها الانسانية التي يجب أن تكون أهم من كل شيء . عندها . ونحن الرجال لا نتكون لنا الشخصية الا بمقدار ونوع العمل الذي سمته وبمقدار اختلاطها بالناس واصطدامنا بالحياة أفرحها وأتراحها . ولو كنا نعيش بالبيت بلا عمل لركبت أجسامنا وعقولنا ركود الترهل والموت الذي نراه في بعض النساء السينات اللاتي لا يستطعن الحديث الا عن القيل والقال . وقبل أيام رأيت مجلة أنشأتها سيدة مصرية فوق نظرى فيها على اعلان للمفتنة والخلة وسائر العقاقير المسنة

فهذا هو النظر الشرقى الذي المحدث البنا بالتقاليد والذي كاد يصبح جزءاً من مزاجنا القومي وهو مزاج يجب أن يكابهه في أنفسنا وفي غيرنا . فلا نكف عن تثقيف المرأة جسمها وعقلها ولا نكف عن تعليمها على قدم المساواة بالرجل كما يجب أن نعلمها حرفة تعيش منها لكي تكون شخصيتها الانسانية

وأخيراً أقول للشباب أنه يجب عليه أن يساعد زوجته على أن تكون ذات شخصية انسانية جلية . وذلك بأن يشاركها في جميع علاقاته الاقتصادية والاجتماعية وأن يكفلها التكاليف التي تشعرها بالواجبات والمسئوليات المختلفة حتى تنمو معه نمواً ذهنياً وأخلاقياً واجتماعياً . ويجب أن نصح بان الواجبات المنزلية لا تنكفي لهذا الغرض

خطة الاكتفاء الوطنى الاقتصادى

فى تلغراف من رومه ان السنيور موسيلى قد افتتح السنة الثانية من خطة «الاكتفاء بالنفس»
فالتى خطبة قال فيها انه يجب أن تصبح ايطاليا وحدة اقتصادية تكفى نفسها . وفى الاجتماعات التى
عقدتها قرر مقدار الطعام الذى يبقى لايطاليا أن تستورده من الخارج

وفى تلغراف آخر من رومه ان الدوائر الاقتصادية قد ارتاحت لمحصول القطن فى ايطاليا
الذى لا يقل جودة عن أصناف القطن الاحنية خصوصاً نوع «السكراليدى» وقد انبعت
نظاماً جديداً لتنمية هذه الزراعة واملأ المساحة المزروعة قطناً الى مائة الف وخمسين الف هكتار
بتوسط ثلاثة قطاير ونصف قطار للمكثار الواحد . وسيكون فى استطاعة ايطاليا انتاج ٤٥٠ ألف
قطار قطن سنوياً والاستغناء قريباً عما تستهلكه من الخارج

ولمدين الخبرين تأثيرهما الكبير فى محصولنا . ولكن يجب أن يكون لها أيضاً المغزى المفيد
فى توجيه خططنا الاقتصادية . فان «الاكتفاء الوطنى الاقتصادى» وما يسميه الأوروبيون
«الاوتارخية» هو خطة قد اتبعها معظم الامم . وكانت المانيا صاحبة الدعوة الكبرى فيها إذ
هى التى دعت المصانع الى الاستغناء عن المواد الخام الاجنبية باستعمال كل ما يمكن استعماله من
المواد التى تنتجها الارض الالمانية

وعلى هذا المبدأ صار البترول يصنع من الفحم الالمانى . وصار الكحول المستخرج من المصانع
الالمانية يستعمل وقوداً للاتومبيلات . وصار الكونشوك الكياوى يأخذ مكان الكونشوك
الطبيعى المستورد من جاوة وسومطرة . وكثرت مصانع الرىون والصوف الكياويين للاستغناء
بهما عن واردات القطن والصوف والحرير . بل المادن فيها قد صار الالمان يمزجون بينها لايجاد
المثانة المطلوبة حتى يستغنوا عن واردات المادن الاجنبية . وأدعى الى الاعجاب وان لم تكن له القيمة
الاقتصادية الكبرى التى لغيره هو استخراج السكر من الخشب

وعجيب حقاً أن يمد هذا الشعب الألماني إلى استغلال ضائقته وعجزه عن شراء المحصولات الأجنبية فيخترع المواد التي تغني عنها ويستخدم ذكاه أبحاثه ومهارة علمائه في هذا السبيل وكذلك فعل الإيطاليون وإن لم يذهبوا إلى المدى الذي بلغته ألمانيا. وهذان الخبران اللذان نقلناهما في أول هذا المقال يدلان على أن إيطاليا دائبة في خطة الاستغناء عن الواردات الأجنبية وعلى أنها تنهى الاحتفاظ بالنقد الإيطالي حتى لا يذهب إلى الأقطار الأجنبية ثمناً للبضائع الأجنبية. وإيطاليا لا تزرع القطن فقط بل هي أيضاً تؤسس مصانع الريون أي القروش والكجاوى ولها أكبر عدد من هذه المصانع بعد ألمانيا

وما أحرانا بأن نفتح أعيننا لهذه الظاهرة الاقتصادية. فإن مما لا شك فيه أن كثيراً من الأقطار الكبرى ستنتج هذا الأتجاه وستبذل أقصى جهده للاستغناء عن المحصولات الأجنبية إما باستنتاج هذه المحصولات نفسها في أرضها. كما فعلت روسيا وإيطاليا وتركيا واليونان وبرايزيل يزرع القطن وإما بالاستغناء عنه بإقامة المصانع الكبرى لإيجاد الريون وما إليه من الأقمشة الكجاوية. وعلى هذا يجب أن نشتر أن نتفق المتوالي لمحصل القطن المصري. ويجب أن نقود هذه الظاهرة بإنشاء مصانع الغزل والنسيج في بلادنا لكي نستهلك منه أقصى ما يمكننا. وفي الوقت نفسه يجب على الحكومة والأمة أن تسعى لتحقيق ما يمكن تحقيقه من خطة «الاكتفاء الوطني الاقتصادي» ونحن لا نجهل أننامها جهدنا فذلنا لن نبلغ شيئاً عظيماً في الوقت القريب. ولكن إذا بمنعنا مثلاً من فرض المكوس العالية بل المكوس المائعة على جميع الأطعمة الطازجة أو المخزونة حتى يضطر المستهلكون أحاسب ووطنيين إلى استهلاك الأطعمة المصرية. ويدخل في لفظة «الأطعمة» جميع واردات الدقيق ومشتقات اللبن وجميع الفواكه والبقول والاحوم. فإن علبه السردين تباع الآن في مصر بقرش واحد.

ولسنا ندري أية مصلحة نجنحها من هذا التسامح. والراغب في السردين الأجنبي يمكنه إذا اشتباه أن يؤدي في ثمن العلبه خمسة قروش. وكذلك الشأن في سائر الأطعمة الأجنبية. ولكن المكوس وحدها لا تكفي فيجب أن نشط إلى تأسيس المصانع المصرية التي تستهلك محمولاتنا بل

نحن لا نرى ما يتمتع الحكومة من أن تقوم بنفسها بتأسيس المصانع أو القليل منها الذى لا يمكن الأمة فى وحدتها الاقتصادية الحاضر أن تدرك قيمته وتتطوع لتأسيس الشركات له وقد قمنا قبل نحو سبع سنوات بحركة المصرى للمصرى لهذا الغرض ودعوا إلى الوطنية الاقتصادية. ونحن فى حاجة إلى تجديد هذه الدعوة حتى تشعر الأمة بضرورة الاستقلال الاقتصادى الذى لا تتوانى الأمم القوية مثل ألمانيا أو إيطاليا عن الدعوة إليه والعمل لتحقيقه مع التضحيات الكبيرة التى يحتاج إليها هذا التحقيق

تقييد الأعمال الحرة

إذا كانت الرغبة التى أبدتها لجنة الصحافة فى انقاص صفحات الجرائد تؤدى إلى بعض المناقشات الاقتصادية فإن الفائدة لقراء ستكون كبيرة. فـ الأحرار قد اتخذت موقفاً مناقضاً للموقف الذى اتخذته سائر الجرائد انصرية ودعت إلى الحرية المطلقة للعمل الحر واستندت إلى نظريات يحسب كاتبها أنها على شيء من القيمة

وظن أن فى عصرنا الحاضر يجب على كل كاتب يتصدى لبحث المسائل السياسية والاجتماعية أن يكون واقفاً على النظريات الاقتصادية التى هى الأساس لكل تطور سياسى أو اجتماعى. فإن لفظة « الحرية » محببة إلى النفس وهى تستهوى الأذن والقلب. فإذا دعا داع إلى صيانة الحرية ومنع التقييد بين المتضادين بالأعمال الحرة توهم السامع أن المقصود هو خدمتهم. وإن تدخل الحكومة يراد منه الأضرار بهم أو هو سيضرهم حتى ولو لم تكن هناك الإرادة لذلك

ولكن الواقع أن حرية المزاولة ليست على الدوام حسنة للمتزاومين أنفسهم أو للجمهور فمن المفروض منطقاً أنه كلما كثر المتزاومون انتفع الجمهور بانخفاض الثمن. وهذا صحيح ما دام هؤلاء المتزاومون صغاراً. وقد كانت هذه هى الحال السائدة قبل القرن التاسع عشر. فإن صناعة

الاحذية مثلا كانت في أيدي صغار الصالحين الذين كان كل منهم مالكاً وأجيراً في وقت واحد . يملك مكانه ويعمل بنفسه فلم يكن هناك مكان للاحتكار معها كانت هذه الصناعة مطلقة حرة . ولكن بعد ذلك ظهرت الماكينات التي تصنع مئات بل آلاف الأحذية في اليوم فاحت بالاحتكار من أمامها المالك الصغير . فيجب عندما تنغى بحرية المزاولة وإطلاق الأعمال الحرة ألا ننسى أن الاحتكار يهدم هذه الحرية . والجمهور لا يربح شيئا . فإن المحتكر صاحب الآلات الضخمة يبيع سلعته في أول الأمر رخيصة حتى يقتل مراحه الصغير القوي يعمل بيديه . فإذا انتهى منه زاد ثمن سلعته كما يشاء لأنه لا يخشى المزاولة

وقد أصبح التدخل أي تدخل الحكومات في الأعمال الحرة عاما . ونحن نعرف هنا في مصر أن المزارع المصري لا يمكنه أن يقول أنه حر في زراعة أرضه كما يشاء . فإن الحكومة تتدخل وتفرض عليه ألا يزرع سلالة معينة من القطن . وهي تحدد مقدار الرز الذي سيزرع في منطقة خاصة وهي تتدخل في حقل القطن المودع بالعبدان وتعين الفعلة لتقنيها . وهي تمنع من رى أرضه إلا في مواعيد . وهكذا . وهكذا

فالتدخل في الأعمال حرة مسددة . والحكومة في تدخلها في مسألة الجرائد إنما تحاول منع الاحتكار . ومن منا ينكر أن هذا الاحتكار واضح وأنه لم يقم على أسس تتفق وشرف الصحافة ؟

إن يفتنا صحفيين لا يتورعون عن التحدث بأن الأحزاب السياسية في مصر يتزعمها زعماء تجوز عليهم الحيل وأنهم يتفنون بالوثبات السياسية ولا ينكرون أن هذا الصحفي قد نال في يوم من رئيس وزارة سابقة خمسة آلاف جنيه لكي يدعو له ويخضعه في شتم الوفديين . وأن هذا الأخير كيت وكيت . بل ممبنا من صحفيين في سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ أن الدستور ليس اللعبة وأن التنية معقودة على حكم البلاد بدونه . ورأينا جرائد هؤلاء الصحفيين ومجلاتهم سرية إلى تلبية دعاة الديكتاتورية وملء أيديهم من أموال الدولة

واستطاع هؤلاء الصحفيون أن يصلوا إلى القمة . وإن يجعلوا جرائدهم ومجلاتهم تستغرق

السوق فلا يباع الى جنبها جريدة أو مجلة . بل رأينا بعض هؤلاء يستولون على الاعلانات أيضا ويحتكرون الجرائد والمجلات يبعاً واعلانات

لقد كانت تجارة البترول حرة في الولايات المتحدة فأنتم هذه الحرية الى أن يحتكرها روكفيلر اذ استولى على معظم المنايع وصار يحارب جميع مزاحيه حتى قتلهم وعندئذ تصدى له الرئيس روزفيلت وحارب احتكاره

ومن العبث ان يحيلها كاتب على نظريات القرن الثامن عشر أو التاسع عشر . فانا لا يمكننا أن نسمى عن الواقع سنة ١٩٣٧ فان ألمانيا تدخل في الاعمال الحرة وتفرض حداً اعلى للربح في هذه الاعمال لا يزيد على ٧٥٠ جنيتها في السنة . وإيطاليا تفرض عضوية موظف من الحكومة في مجلس ادارة الشركات والامه التي أخذت نظام الحصص تمنع المستوردين من شراء البضائع الاجنبية الا بمقدار معين . وبعض الامم تمنع خروج النقد . فالرجل الثرى الذي يملك مئاته الالوف من الجنيهات وهي التي جمعها بقرق جيبه واعتصار ذهابه لا يمكنه أن يأخذ سوى مقدار صغير جداً منها اذا أراد ترك بلاده للسباحة أو التنزه . وبعض التجار اليونان في مصر لا يمكنهم الآن ان يستعملوا أموالهم التي لهم في اليونان

ونستطيع ان نزيد الامثلة . ولكن خلاصة ما يقال ان الصحافة قد اصبحت احتكاراً لواحد او اثنين . وليس هذا من مصلحة الامة . والحكومة تحسن اذا حاربت هذا الاحتكار باقتصاص صفحات الجرائد الى ثمان

الكساد العام يتفاقم

ذكرت احدى الجرائد أن في المحكمة المختلطة نحو سبعين قضية افلاس ، وذكر كرت جريدة أخرى أنه قد أغلق في الاسبوع الماضي خمسة مصانع مصرية . واحد منها للمسامير . وآخر لأكسيد الزمك . وثالث للمنسوجات الحريرية . واثان للآزرار

وهذان الخبران يجب أن يعثا القلق العظيم في نفوسنا . فانهما يدلان على أن موجة الكساد التي كانت قد انحسرت بعض الشيء منذ سنة ١٩٣٠ قد عادت وربما كانت عودتها أشد وأفظع مما كانت في تلك السنة . وقد عللت إحدى الجرائد أفعال هذه المصانع التي ذكرناها بأن الواردات الأجنبية لا تجد من المكوس الجركية العالية ما ينتقص مقدارها وانها لذلك تغمرنا فلا يمكن مصانعنا المبتدئة أن تتراحمها . وبدهى أن المصانع الأوربية قد حصلت من الاختبار والدراسة مالا ينتظر أن يحصل عليه مصنع مصرى مبتدى . ولذلك تحتاج مصانعنا الى الحاية والرعاية الى أن تثبت وتستطيع الوقوف في وجه المزاخمة الأجنبية

وقد سبق أن أشرنا إلى أن أنما كثيرة أخذت هذه الأيام بمبدأ الاستقلال الاقتصادى وانها لهذا السبب تستبطل من أرضها المواد الخامة والمحصولات التي تحتاج اليها . كما انها منقلم الحصص في الواردات قد منعت التجار من شراء البضائع الأجنبية إلا بمقادير معينة لا تؤدى الصناعات الوطنية . واحتفظت بتقدها وصارت تمنع أساسا من اخراجها . وهما جريا

ونحن في بداية نهضتنا الصنعية نحتاج إلى أن نحصى الحكومة صناعتنا بفرض مكوس جركية عالية على الواردات الأجنبية . بل الزراعة نفسها في حاجة إلى هذه الحاية . فان مما يدعو إلى العجب أن تحتل دكا كين البقالين بالمأكولات الاجنبية في حين أن مصر قطر رداى أقل ما يطلب منه أن يسكنى نفسه بالأطعمة . ولستأ نعى المنع التام وانما يجب أن نشجع الفلاح على صنع الجبن الجيد بأن نجعل ثمن الأقة من الجبن الأجنبي نصف جنيه مثلا

وهكذا الشأن في سائر مصانعنا . فان الحكومة التي تفكر في إنشاء البنوك الصناعية يمكنها أن تستغنى عن كل ذلك لو أنها زادت المكوس الجركية على جميع الواردات التي نصنع مايمثلها أو حتى يقوم مقاومتها ولو لم يكن من جنسها

ولسكن زيادة المكوس الجركية لا يمكن ان تكون ترياقا لجميع أدوائنا الاقتصادية فان ثمن القطن لن يزيد مليا معا زدنا نحن في مقدار هذه المكوس . والريف المصرى يعاني هذه الأيام نكبات متواليات من انخفاض الائتمان وانخفاض المحصولات معاً . والاول يسيطر عليه عوامل عالمية . والثانى قد وصلنا اليه بطيشتنا وقلة تبصرنا حين غمرنا أرضنا بالمياه حتى مرضت التربة وحتى

نزل محصول الغدان من ١٢ قنطاراً إلى ثلاثة قناطير - ولو لم تكن قد رأينا هذا الانحدار بأعيننا لما صدقناه - وهذا إلى التدهور العام الذى يجده القطن فى أسواق العالم - وإلى أن المزارعين على الرغم من تخفيف ديونهم لا يزالون ينوون بها

فإذا فعل من أجل هذا الريف الذى يحيم عليه الضيق وكيف نتفقه ؟

ان العلاج الخامس لهذه الحال يحتاج إلى جهود كبيرة جداً تحتاج الى السنين فى اصلاح التربة أى تجفيفها وفى تعليم الفلاحين العناية بمحصولات أخرى غير القطن وفى تشجيعهم على ايجاد هذه المحصولات - وأخصها مشتقات اللبن والفراخ والبيض والفواكه والخضراوات - بايجاد الأثمان الحسنة المغرية لها - وعندنا أن الطريقة المثلى التى يمكن أن نلجأ اليها من الآن لتحقيق بعض ذلك انها تكون بخفض النقد أو مايسمى التضخم

وقد كنا من دعاة هذا الخفض منذ سنة ١٩٣٢ حين انخفض نقداً بانخفاض الجنيه الاسترلى ودافعنا عن هذا الانخفاض وأوضحنا قنننه للمحصولات المصرية - وفى العام الماضى قبل نحو ١٥ شهراً كتبنا ندعو هذه الدولة - والآن نود اليها ونحث الحكومة على اتباعها - ونحن نقول هذا بعد ماقرأنا عن تصميم الحكومة على المحافظة على السعر الحاضر للنقد المصرى - ولكننا نعتقد أن الحكومة لم تكن موقفة فى هذا التصريح - ولنا تعامى عن موقفنا الحاضر أزاء المعاهدة والوساوس التى قد تخامر بعض الأجانب وحرص الحكومة على بث الطمأنينة المالية - ولكن كل هذا لا يساوى الفوائد العظيمة التى تعود على أبناء الريف مزارعين مالكيين وفلاحين مأجورين وهم لا يقلون عن ١٢ مليوناً من خفض النقد الذى يخفف أعباء الديون عنهم وينشطهم الى العمل المثمر فى حقولهم التى غشى عليها الحمول والركود لليأس الذى استولى على المتعبين

ولاعبرة بما يقال من أننا نستهلك منتجات أجنبية وأن أثمانها سترتفع فتمعز عن شرائها عندما تنخفض قيمة النقد - فإن هذا القول نفسه يمكن أن يحتج به لفائدة الخفض - ذلك لأننا عندما نحدد المنتجات الأجنبية غالية فأننا سوف نجرؤ على تأسيس المصانع المصرية ونشتري مصنوعاتنا كما تقتصر على استهلاك محاصيلنا فيكون من هذا وذاك تشجيع للزراعة والصناعة المصريتين

ويمكن الحكومة أن تؤلف لجنة من المالىين والاقتصاديين أجانب ومصريين لكي تبحث
أراءهم قبل الشروع في هذا الخفض

تصميم كتاب يجب ان يؤلف هذه الايام

تدل حركات بعض الطلبة هذه الاشهر القريه الماضيه على انهم لصغر سنهم لم يعرفوا الحقائق
المرة التي يجب أن تعرف

ولهذا نعتقد أنه من الحسن أن يؤلف كتاب في تاريخ وزارة اسماعيل صدق باشا . ولا تذكر
في هذا الكتاب أراء بل لا تورد فيه كلمة تشنيع لأن الحقائق نفسها بليغة تصرح بالعار والشنار
وهاك تصميمًا أو ترسيًا لكتاب يؤلف تحت عنوان «وزارة اسماعيل صدق باشا وأعمالها في
أربع سنوات» ويطلع مزودًا بالصور صور القتل والجرحى من المصريين العصيمين . ويجب ألا
يقبل عدد الصور عن ثلاثين أو أربعين لأن الجمهور يجب رؤية الصور فيقبل على قراءة الكتاب .
والصورة الافتتاحية هي بانطع صورة اسماعيل صدق باشا . ثم تتلوها صورة مرسى عبد الجواد وهو
الشرطي الذي حكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة لأنه قتل في سنة ١٩٣٠ أحد الشبان المصريين
الذين رفضوا الذهاب معه إلى مكتب الانتخابات لانتخاب المرشح للبرلمان الصدق . ثم صورة هذا
الشاب المقتول . وبعد ذلك تنقل عشرات الصور التي تمثل شبابنا المقتول والمجروح لكي يتمتع من
يدعى اسماعيل صدق باشا برئاسة الوزارة

هذا عن الصور . وقد تبدو هنا صعوبة وهي أن الجرائد والمجلات المصورة لم تكن تنقل هذه
الصور لأنها كانت في صف صدق باشا أو كانت تداريه بالسكوت لأنه كان يداريها بشئ آخر . ولكن
في كثير من المجلات الانجليزية وعند كثير من الوطنيين مئات الصور التي تصف تلك السنوات
السود الوصف الذي تستحقه

ثم نبدأ الفصل الأول فنجمله خلاصة لتاريخ صدق باشا قبل وزارته . أي كيف نشأ وفي أي أسرة

وكيف كان جده تركياً لا يعرف العربية . وهنا قد تكون لنا ملاحظات سيكولوجية مفيدة . ثم نذكر انضمامه لوزارة زيور باشا التي جمعت البرلمان في الصباح ثم حلت وطردت الاعضاء في المساء لانهم كانوا في نظرها جماعة فلاحين

ثم بعد ذلك تم عقد فصلا عن دستور سنة ١٩٢٣ ولماذا كان يكرهه المستبدون . والدستور الذي باضه وقعه اسماعيل صدق باشا ولماذا آجبه المستبدون . والمقابلة بين الدستورين تثير كل مصرى عن المرامي التي كان يرى اليها أمثال اسماعيل صدق باشا وزيور باشا

ثم يأتي فصل يمتنع في هذا الكتاب . وهو فصل الانتخابات . ويجب أن أكرر هنا ضرورة الاحجام عن كلمة شتم أو تبحيح لصدق باشا لأن الحقائق لا تشتمه بل تصفه

ففي هذا الفصل نصف الحوادث وكيف سارت إلى أن انتهت بنجاح صدق باشا حتى حصل على ٦٧ وسبعة أثمان في المائة من الأصوات

وهنا لا بد من ذكر الاحصاءات الدقيقة عن القتل والجرحى في أنحاء القطر قبل تحقيق هذا النجاح المثوى المرتفع . ولعل من اللائق أن نقرر في هذا الفصل الفشل الذي أصيب به صدق باشا في دائرة بورسعيد التي لم ترد فيها النسبة على خمسة في المائة إذ كان المحافظ في ذلك الوقت رجل يدعى حسن رفعت بك رفض الاستخذاء لرئيس الوزارة وأصر على أن يكون نزيهاً وعلى أن يترك الحرية للناخبين

ثم فصل يمتنع آخر — عن مرسى عبد الجواد الذي سبق ان قلنا ان صورته يجب ان تنشر مع صورة الشاب الذي قتله في حلوان سنة ١٩٣١ لأنه رفض انتخاب المرشح الصدق . وهذا الفصل يحسن أن يكتب على هيئة بلاغ يقدم للنيابة العمومية . نذكر فيه بإيجاز قصة الانتخابات والجو الاحمر جو الدم والسيوف والنار الذي أشاعه اسماعيل صدق في البلاد حتى ظن هذا الشرط أن كل جريمة تجوز في سبيل تحقيق الغرض الاسمي وهو بلوغ ٦٧ وسبع أثمان في المائة من الأصوات . فنذكر هنا أن اسماعيل صدق يقع عليه جزء من المسؤولية في هذه الجريمة وأنا نطالب النائب العمومي بالتحقيق لكي يعين مقدار اشتراكه فيها . وقد يرى بعضنا أنه يرى ويرى بعضنا أنه مجرم . فالنيابة العمومية هي الهيئة الوحيدة التي يمكنها أن تعين مسئوليته في هذه الجناية

التي انتهت بقتل شاب مصري وبالحكم على شرطى بالسجن خمس عشرة سنة
والى هنا لا يحتاج المؤلف إلى كتابة سطر واحد لا يثبته القارىء. فان كل حادثة درامية يبدو
لنا فيها صدق باشا كأنه بطل يرقص على المسرح. ولكن يجب في كتاب كهذا ألا تكون غايتنا
اللذة. بل يجب أن نضع الفائدة فوقها. فنأتى على الاستثناءات في العلاوات والترقيات. وقد بلغت
١٢٥٠ ومن هم الذين حصلوا عليها في الوقت الذي ضرب فيه الموظفون بضربة الدمغة. وأى
شركان يتويه بهذه الاستثناءات الكثيرة؟

وهنا لا بأس من أن نخالف قاعدتنا وهي الاختصار على الحقائق وندام بقليل من الآراء لكي
نستكنه نفسه ونياته. وربما يكره بعض التراء هذه المخالفة ويلج على وجوب الاختصار على الحقائق
في هذا الكتاب. فإذا تركنا على رأى هذا الفريق الختيل فالتنا يجب أن نعلم بأننا نضحى بقسم لذيذ
من الكتاب

ثم نشر فصولاً متوالية كلها حقائق - عن الصحافة في أيام السرد. وعن الفلاحين
والضرائب. وعن توازن الميزانية. وعن السخرة. وعن التسوية مع البنوك العقارية لفائدة المدينين
أو الدائنين. وعن سلطة مجلس الوزراء الذي هو برلماننا الصغير منذ أيام الخديو اسماعيل. وعن الخ
ومثل هذا التصميم يقبل التنقيح هنا وهناك. ولكن هذه صورة عامة قد تناولنا فيها العظام
العارية لهذا الموضوع الخطير. وكل ما يحتاج إليه بعض المؤرخين لاتمامه واخراجه كتاباً سوياً
يقرأه الطلبة فيعرفون من هو اسماعيل صدق باشا